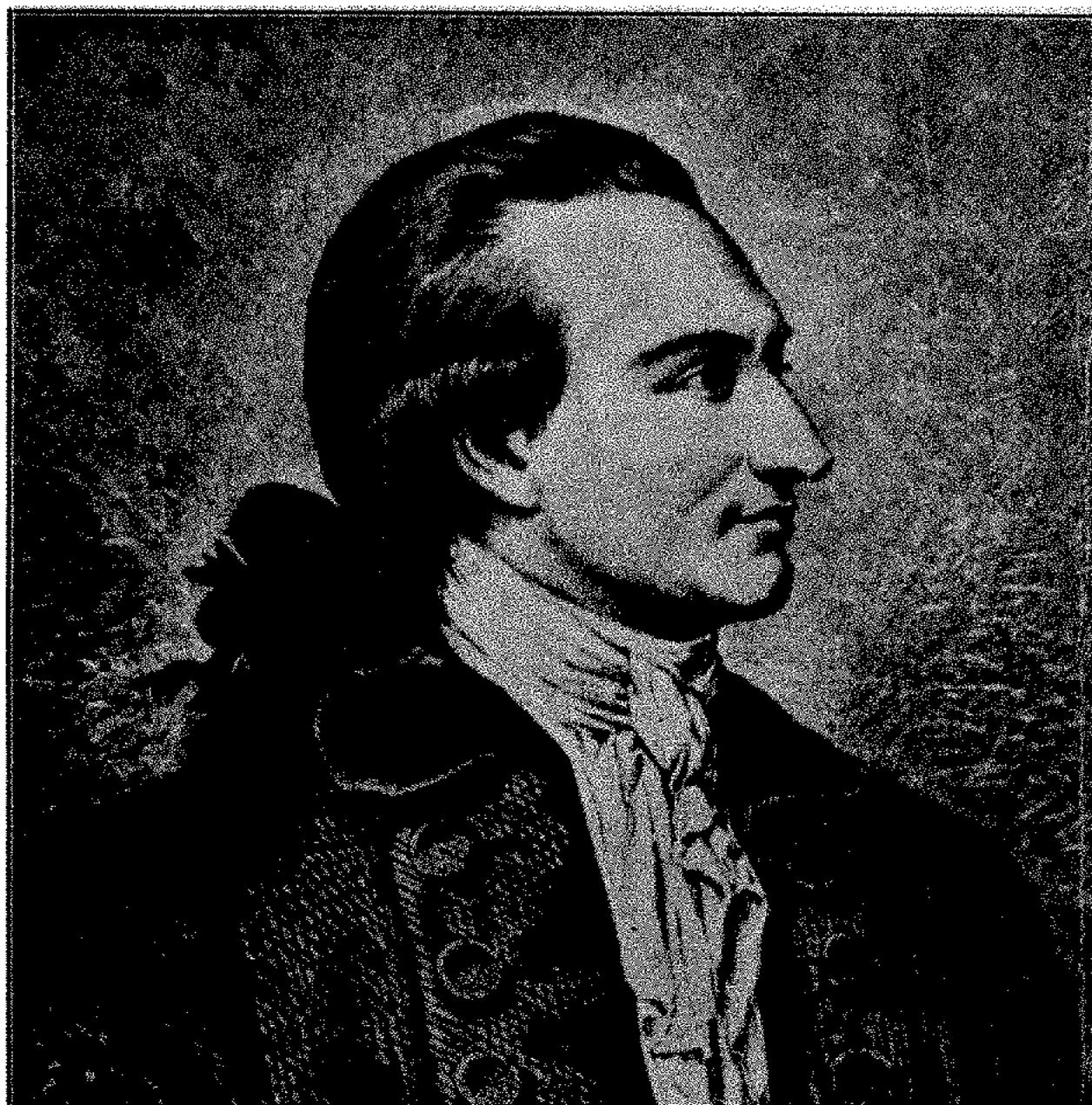


عليهِ حُسْنُ الْعَمَاد

# شِكَارِي





# مِنْ كَاتِبِي

بِقَلْبِي

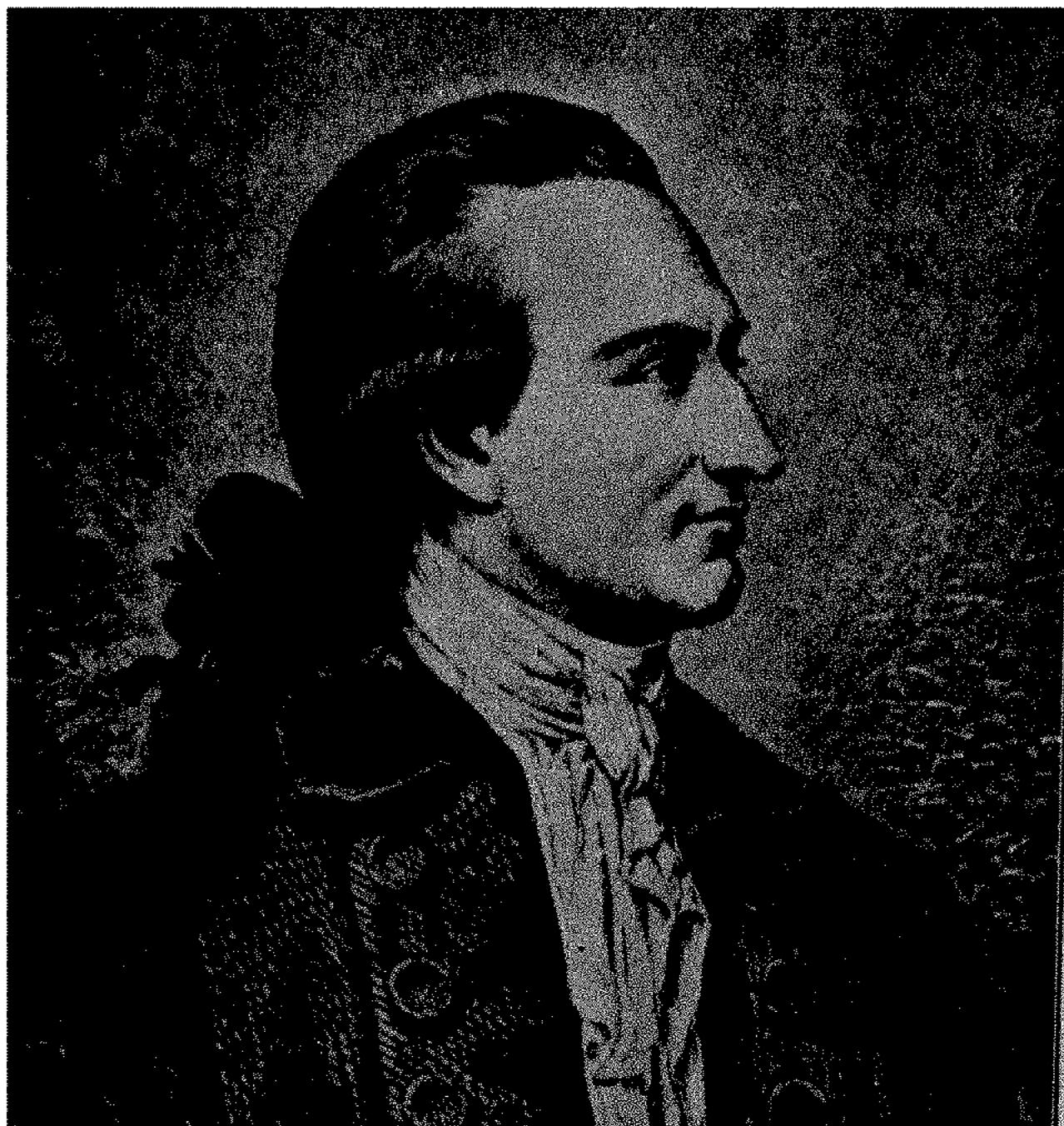
عَبَاسُ مُحَمَّدُ الرِّعَادُ

---

الطبعة الأولى

١٣٥٠ - ١٩٣٢ م





حياته في شبابه

ساده

ثارت الكنيسة على الطبيعة ، ثم ثارت القلعة على الكنيسة ،  
ثم ثارت المدينة على القلعة ، ثم ثار الفرج على المدينة .  
تلك سلسلة من الثورات تكررت في كل قطر من الأقطار  
الأوربية على التقرير ، ولكنها لم تكن قط أوضحت مظهراً  
ولا أعمقاً أثراً ولا أجدر بالدراسة مما كانت في الأقطار  
الألمانية خاصة

فسلطان الطبيعة كان عظيماً في كل أرضٍ، ولكنه لم يكن  
قط أعظم مما كان في الأرض التي التقى فيها الشمال والجنوب،  
والتي غنت للطبيعة وقدستها وحفظت من غناها وتقديسها إليها  
تمالة شائعة في فنونها وعباداتها إلى اليوم

وسلطان الكنيسة كان عظيماً في كل أمة، ولكنه لم يكن  
قط أعظم مما كان في الأمة التي قامت عليها أركان «الدولة  
المقدسة» وسيطرت عليها الكهنة حتى دفعت بها إلى ثورة  
الإصلاح

**سلطان** القلعة كان عظيماً في كل بلد، ولكنه لم يكن

قط أعظم مما كان في البلاد التي تقسمها الأمراء دو يلات  
دو يلات ، وانقسمت فيها الدو يلات أقاليم ، وطال فيها  
عهد الاقطاع إلى القرن العشرين ، وأصبح فيها توقير النبلاء  
دينا إلى جانب الدين ، حتى شكل نبلاء سكسونية مرة من  
تعميد أبنائهم بالملائكة الذي يعمد به أبناء الوضيعاء !!

وسلطان المدينة كان عظيماً في كل دولة، ولكنه لم يكن  
قط أعظم مما كان في الدولة التي اشتهرت فيها «المدن الحرة»  
واستقلت فيها بالمصالح والنظم والدساتير

و ثورة الفرد على المدينة كانت معرض اللدراسة النفسية في كل  
بيئة ، ولكنها لم تكن قط أغني بمسائل البحث مما كانت  
في البلاد التي خرجت فيها النزعة الفردية مزيجاً من ثورة  
الطبيعة وثورة الكنيسة وثورة القلعة وثورة المدينة وثورة  
الأفراد ، وقلياً امتزجت ثورات خمس في نفس واحدة الا  
بدت للعين كأنها ضرب من السكون !

وبحقِّ كان «هيجل» «فيلسوفاً المانياً» ينظر إلى العالم من خلال النفس الألمانية ، وبحقِّ فسر التاريخ كله بالصراع الدائم بين

فكترين تتصارعان ما تكاد احداهما تغلب الأخرى حتى تصدى لها فكرة جديدة تنازعها أسلاط الغلب و تأيي عليها قرار الراحة . فقد كانت النفس الألمانية ميداناً بقيت فيه بقية من كل صراع وغنية من كل غالب وكل مغلوب ، واتهت بها النهاية في هذه الصفة الى انسان جامع الثورات التي هي أشبه بالسكون ، أو السكون الذي هو أشبه بالثورات ، ونعني به « جيتي » شاعر الألمان الكبير ومحور الكلام في هذه الرسالة ، فهو من ثم الألماني في الألمانيين ، وهو سليل الكنيسة التائرة على الطبيعة . والقلعة التائرة على الكنيسة ، والمدينة التائرة على القلعة . والفرد التائز على المدينة !

---

## النفس الالمانية

النفس الانسانية لغز خفي على الرغم منها ، ولكنك إذا شارفت النفس الالمانية خيل اليك أنها لغز خفي باختيارها ، لأنها تحب الالغاز والخفايا وتعيش فيها ! ومامن نقيبة في تلك النفس العجيبة تستعصى على التفسير الا كان تفسيرها القريب في هذه الحقيقة الشاملة ... فالعلم بهذه الحقيقة زاد لا يستغنى عن المسافر في بحثه الحياة الالمانية ، من باطنة وظاهرة ، ومن قوية وفردية ، ومن قديمة وحديثة اشتهر الالمان بالتدين والفلسفة والسحر والموسيقى والاناشيد والأحلام . وكل سمة من هذه السمات راجعة في قراراتها الى الإيمان بالغيب والولع بالأسرار

ولك أن تقول ان الدين والفلسفة والسحر إخوة ثلاثة يختلفون في العرق والحسن والطهارة . فالغيب الذي يبحث عنه الدين هو سر القلب والضمير ، والغيب الذي تبحث عنه الفلسفة هو سر الفكر وال بصيرة ، والغيب الذي يبحث

عنه السحر هو سر القوى الجاهلة والغرائز العمياء، ولكنها كلها لا تولد إلا في مهد الخفایا ولا توجد إلا حيث يكون التصديق بالأسرار

وقد ترى للسحر نوعين يختلفان أشد الاختلاف في الأصل والدلالة، فهناك السحر السطحي الذي يجيء من الضلال في تفسير ظواهر الأشياء؛ وهناك السحر الخفي الذي يجيء من الضلال في تفسير البواطن، وليس السحر الأول كالسحر الآخر ولا صاحب هذا كصاحب ذاك

فالباحث عن ظواهر الأشياء إن مشى إليها من طريقها القويم انتهى إلى العلم وإن مشى إليها من الطريق الأعوج انتهى إلى السحر والشعوذة، ولكنه في الحالين لا يتونخى مطلبا غير البحث عن علاقات الظواهر؛ ولا يكلف نفسه النفاذ إلى أعماق المحسوسات. فهو في الطريقين قانع بما يجد على وجه الحياة

أما السحر الآخر - أي سحر البواطن - فهو فلسفة خاطئة أو تدين خاطيء، لأنه يتعدى المحسوسات إلى ماوراءها ويتغلغل

من السطوح الى الأعماق . ولكن يضل الطريق ، ويستهدي الى غايتها بغير هداية القلب والضمير ، أو هداية الفكر وال بصيرة .

والسحر الآخر هذا هو سحر الألمان في القرون الوسطى ، فقد كانوا سحرة لأنهم لم يستطعوا بعد أن يكونوا فلاسفة ، وطال بهم عهد التصديق بالسحر إلى أن بدأ عهد الفلسفة الحديثة في القرون الأخيرة ، فأحرقت امرأة ساحرة في سويسرا الألمانية سنة ١٧٨٣ . . . . وبلغ عدد العجائز المحرقات بأمر أسقف واحد في سنة واحدة من أواخر القرن السابع عشر ستة عشر عجوز !! ولا يخفى أن الأمرين بالاحراق أشد إيمانا بالسحر من المتهمين باقترافه . لأن الساحر المتهם قد يعلم عجزه عن الاصابة ويعرف تمويهه على عقول الأغمار ؛ أما الأمرؤن باحراقه فلن يفعلوا ذلك الا وهم مؤمنون بقدرة السحر على الاصابة وسلطاته على الناس

\* \* \*

والمusic - ولا سيما الموسيقى الألمانية - هي أقرب

الفنون الى البواطن والأسرار ، وهي أحيانا دعاء المعابد وصلوات العباد ، وأحيانا لسان المعانى التى لا تعبر عنها الكلمات . وجيتى هو القائل : « لا تقرءوا أناشيدى ولكن غنوها ف تكون أناشيدكم » . وتلك حقيقة خلقة بجيتى الشاعر وجيتى الألمانى على السواء . فالألحان هى سبيل الاتصال بين الأرواح فيما لا تغنى فيه الكلمات . وهكذا اتصلت أرواح الألمان من قبل على ألحان الشعراء الطوافين وأغانى الفلاحين وأساطير الأبطال الغابرين . ففى المانيا أدب حافل بالأغانى الشعبية لانظير له عند سائر الشعوب ، لأن الموسيقى عندهم عنصر من عناصر البواطن واحدى وسائل التعبير عن روح الشعب الأصيل

\* \* \*

وفي هذه «(الباطنية» تعليل لكثير من النقائض التى تظهر لنا على «روح الشعب الألماني» ولا سيما فى فهمه للحرية والوطن والجامعة القومية . فقد طلب حرية الدين قبل غيره من شعوب أوروبا وبقى متخلقا لا يطلب الحرية السياسية الا فى مؤخرة تلك

الشعوب ، ولاريب في أن النزعة الباطنية هي أحد الأسباب القوية  
التي يرجع إليها ذلك الاسراع في ثورة الدين وهذا الابطاء في  
ثورة السياسة والمجتمع

فليما كان الظلم يوصد على الألمان باب الضمير لم يطقو الصبر  
عليه لأنه قد أوصد في وجوههم الباب الذي منه يسلكون  
واليه يلتجؤون ، ولما بقى هذا الباب مفتوحًا لم تعنهم مظالم الحياة  
الخارجية لأنهم يعرضون عنها منصرفين إلى دخائل نفوسهم .  
فلا تضيق بهم الحياة الخارجية كما تضيق بالمظلوم الذي يعلق  
عليها جميع الآمال

فالشعوب التي تستغرقها « الدنيا الظاهرة » يحرجها الظلم إذا  
أخذ عليها مسالك تلك الدنيا فيدفعها إلى الترد وطلب التغيير .  
ولكن الألمان شعب لم تستغرقه « الدنيا الظاهرة » فكانت له  
مندوحة من حياة الروح يطلب عندها العزاء الصادق أو الكاذب :  
يطلب عندها أملاقي النساء أورفية في السحر أو سلوى من الفلسفة .  
وفي ذلك كله تلطيف لوقع الظلم يؤجل الشعور به إلى حين  
وهنا وجه المقابلة بين الألمان والفرنسيين ، فإن الفرنسيين

هرعوا الى الديمقراطية ولكنهم لم يشعوا مع الكنيسة التي دان لها أجدادهم وآباء أجدادهم ، والألمان خرجوا على كنيسة الأجداد وأبطئوا في تلية الديمقراطية ، وهذا هو الفرق بين روحى الشعدين .

\* \* \*

قلنا ان « النزعة الباطنية » هي أحد الاسباب القوية التي صبغت « الروح الالماني » بهذه الصبغة في فهم الحرية ، ولكنها ليست بالسبب الوحيد الذى جعل للحرية الالمانية والوطنية الالمانية معنى غير معناهما عند سائر الشعوب ، فيجب أن نذكر في هذا الصدد أن الجerman كانوا قبائل شتى ودولات كثيرة تخضع للدولة المقدسة الكبرى . فكانت الدولات الصغيرة تكره الدعوة الجermanية في بادئ الأمر لأنها تحس منها الخطر على وجودها وتخشى أن تفنيها في غمار الدولة الكبرى ، بل لقد كان عدم الوطنية الجermanية في بعض العصور ضربا من الوطنية المشكورة في الدولات الصغيرة . فالبروسى مثلا كان ينكر الغيرة على الوطنية الجermanية لأنها غيره تلتهمه وتفنيه وتقضى

على غيرته البروسية ، فليس بعجيب أن يختلف معنى الوطن في بلاد المجرمان عن معناه في الأمم الأخرى زمناً من الأزمان و يجب أن نذكر كذلك في هذا الصدد أن مبادئ الديمقراطية حين وصلت إلى ألمانيا كانت مبادئ عدوها المغير عليها المذل لكيariesها : كانت مبادئ الجيش الفرنسي والدولة الفرنسية ، فليس بعجيب أن يتلقاها فلاسفة الألمان بشيء من الفتور والاعراض ، وأن تخنج بهم الوطنية إلى انكار الديمقراطية في ابان المنافسة والملاحة بين الشعوب ، فهو روح شعبي ذلك الذي جنح بهم من حيث لا يشعرون إلى انكار الدعوة « الشعبية » يوم جاءتهم على أسنة الرماح وأفواه المدافع من جانب الفرنسيين !

على أن السبب الذي يتصل بجميع هذه الأسباب ويُكَاد يدرجها كلها في أطوائه هو حرب « الثلاثين » المشهورة . فاز هذه الحرب الطهون قد دمرت ألمانيا في الشمال والجنوب تدميراً وعطلت البحث والأدب فيها جيلين متواлиين ورزحت استقلال الفكر فيها خلال القرن السابع عشر الذي نشطت

فيه دعوة الفكر الحر في الأمم الأوربية الكبرى  
وهكذا اختلف الروح الألماني في مظاهر الحرية ومعانى  
الوطنية والعصبية اختلافا غير يسير ، فكان له نمط فريد من  
الاستقلال والشعور بالحقوق

ولستنا نفهم أمة الألمان وحدتها حين نفهم هذه الحقائق  
ونلاحظ هذه الفروق ، وأكثمنا نفهم شاعرهم جيتي حق فهمه  
حين ندرك الروح الألماني هذا الادراك ، ونلقي بالننا على هذا  
النحو الى مزاج التدين والفاسفة والسحر والموسيقى والآنساشيد  
والأحلام .

## نبذة عن الحرية الفنية في الأمة الألمانية

لاتخلو الدنيا من فكرتين تتصارعان كما يقول هيجل فيلسوف الألمان الذى أشرنا إليه في كلمة البداية . وانما الغلبة الكاملة في هذا الصراع مستحيلة ، فكل فكرة غالبة تفقد بعض الشيء وكل فكرة مغلوبة نعم بعض الشيء . ثم يتنهى المطاف وفي الدنيا آثار مختلفات جمجمة الأفكار غالباً ومغلوبة على السواء فإذا تحدثنا هنا عن تداول المدارس الفنية في الأمة الألمانية وجب أن نذكر هذه الحقيقة وألا ننسى أن الغالب منها لم يبق كل البقاء وأن المغلوب منها لم يزل كل الزوال ، في العصر الحاضر اثارة من الأساليب الرومانية والمدرسية والفرنسية والمستقلة والزوبعية التي شاعت بعض الشيوع في جيل جيتي ، وفيه كذلك اثارة من الرومانية الحديثة والطبيعية وما تجدد بعدها من شتى الأساليب وهذه الأساليب كلها قد تتلخص على سبيل الإيجاز في

أسلوبين اثنين يتداولان الغلب من أقدم عهود الفن في الأمة الألمانية ، وهم الأسلوب اليوناني البسيط الصريح المعروف « بالكلاسيكي » والأسلوب المجازى المركب المعروف « بالرومانتيكي ». فكان الاسلوب المجازى المركب يستولى على أذواق الألمان في القرون الوسطى الى ابان عصر النهضة والاصلاح . ثم ضعف سلطانه رويدا رويدا بعد فتح القسطنطينية ووفود الرهبان ورجال الفن الهاجرين من فتح الترك يحملون كتب الاغريق وبقايا آدابهم الخالصة من شوائب العصور المظلمة . فراح القوم يطلبون الرجعة الى اسلوب اليونان القديم او اسلوب « الكلاسيكي » الصريح

وخير ما تفرق به بين الاسلوبين أو المدرستين - ولا سيما في النحت والتصوير - ان نسمى احداهما البسيطة والأخرى المجازية ، وخير من ذاك أن ثبت هنا كلمة الشاعر الألماني المبدع « هنريك هيبي » في الفرق بينهما كما وصفهما في كتابه الشائق النافع عن البلاد الألمانية . فهو يقول : « ان الفرق بينهما هو أن الصور وال الشخصوص في الفن القديم تمثل أصحابها وال فكرة التي عندها الفنان . فرحلات

« الاوديسى » مثلا لا تعنى شيئا آخر غير رحلات الرجل الذى هو ابن « لايرتس » وزوج « بنيلوب » والذى اسمه « أولس ». وكذلك تمثال با كوس القائم في متحف اللوفر لا يدل على شيء آخر غير ابن سيميل الجميل يطل الحزن الجسور من عينيه وتبدر الشهوة الملهمة من نعومة ثغره وقويس شفتيه . أما الاسلوب المجازى فغير ذلك في مجازيه : إذ رحلات الفارس تنتوى على كنایات خفية وتشير إلى ضلالات الحياة ومتاهاتها في جملتها . والتين المقهور انما هو الخطيئة ! وشجرة اللوز التي ترجى بيتها الشذى من بعيد الى البطل الهايم انما هي ثالوث الآب والابن والروح القدس : ثلاثة في واحد ، كما أن القشر والليف والواة ثلاثة في لوزة واحدة . وإذا وصف هومر درع ناضل فما هي في عرف الاسلوب القديم الا درعا موضوته تساوى كذا من رءوس البقر . أما اذا وصف راهب القرون الوسطى ثياب العذراء في قصيدة فتق اذن أنه يعني بكل طيبة من طياتها فضيلة من الفضائل . وان هناك سرا مكتونا في ثياب العذراء الظهور . وانهاهى لزهرة الموز اذا كان

ابنها نواتها ، وهذه هي سنة ذلك الأسلوب من شعر القرون الوسطى التي نسميها المدرسة الرومانية » .

هذا هو تفريق هيني بين مدرستي القرون الوسطى ، ولكنه يسرى بعض السريان إلى فروعها في العصور الحديثة . ففي المدرسة اليونانية حيث ظهرت بساطة وصراحة : وفي المدرسة المجازية حيث ظهرت لف ومجاز

إلا أن طلاب العودة إلى البساطة في ذلك الزمن كانوا مقلدين فلم يسلموا من غلطات التقليد التي لا محيد عنها . فكان الصواب الفني عندهم وقفا على الأقدمين فلا يصيب الشاعر ولا المصور ولا الموسيقى إلا على نمط واحد هو نمط أولئك الأقدمين ، كأنما الصحة الفنية ضرب آخر من الصحة الحسائية كما قال بعض النقاد ، فمسألة الحساب لا تصح إلا بحواب واحد وصورة الفنان كذلك لا تصح إلا على مثال واحد ! ! ومن ثم جاءت القيود وكثرت الشروط . فانتقل أصحاب الفنون من خطأ المجاز إلى خطأ البساطة ، ولما أوشكوا أن ييرأ ومن هذا الخطأ الجديد صدمتهم حرب « الثلاثين » في القرن السابع عشر

فباءوا إلى فترة طويلة من الاعياء وضعف الثقة والركود.

خرجت البلاد الألمانية بعد حرب «الثلاثين» منهوبة العزم ومهوته الرأى، فأقررت المدن الحرة التي ظهرت فيها طلائع الاستقلال والشاطط، وخربت المزارع وكسرت التجارة، واشتد طغيان الأمراء كما يتفق أحياناً في أعقاب الحروب الطوال الجوائج، فانكسرت النفوس وفقرت الهمم وران على الأمة شك ويل في كل ما هو جرمانى وكل ما هو بسييل من герمانية، وراجت بينها محاكاة الآجانب ولا سيما الأمة الفرنسية التي كانت يومئذ في أوج عمر انها وبدخ سلطانها، وكان بلاطها قدوة الملوك والأمراء في الآداب والأزياء والسمو، فبطل الكلام بالألمانية في مجالس العلية والسرورات حتى أصبحت الخطابة بها وصمة لا تائق بالرجل المذهب النبيل، وأضر هذا التقليد ضرره الذي لا ريب فيه ولكنه لم يخل من فائد حسنة وتمهيد صالح، اذ كان الأدب الفرنسي في ذلك العصر حيا بمتكراته ومنظولاته عن قدماء الإغريق، فانتفع به الألمان وكان له بينهم أثر حمد، ثم كثرت الترجمة من كل لغة لها أدب

وكتابة حتى اللغات الشرقية ، فنقلت مأثورات من لغات الانجليز والاسبان والطليان ، ونقلت مأثورات من العربية والفارسية والهندية . وكان لذلك كله أثره المنظور في توسيع النظر وتعديل المقاييس والأراء

ثم تماسك الألمان وراجعتهم الثقة وبدرت بينهم بوادر الوحدة والعصبية . فكتبوا ونظموا في الأدب الرفيع باللغة الألمانية وتعلقو بأساطيرهم القديمة وأقبلوا على جمعها واقتباسها ، واشتبك بعضهم فشنوا الغارة على كل أجنبي حديث ! بل اجترأ بعضهم فلم يحفل بقيود الأدب القديم : تلك القيود التي كان لها السلطان النافذ قبل ذلك

ويرجع الفضل في النهضة الألمانية الحديثة إلى أدباء كثيرين لا يسعنا ذكرهم في هذا المقام أجمعين ، فحسبنا أن نذكر منهم من كان أقربهم إلى جيّى عهدا وصلة بالسمع أو بالعيان ، وهم جوتشيد منقى التمثيل في ألمانيا من السخاف والكتافات ، و « لسنغ » الداعية الموقن إلى أسلوب الاغريق وأسلوب

الابتكار ، وونكلمان مؤرخ الفن القديم بوحى من روح العلم وروح الأدب ، و « فيلاند » مطلق الخيال الالمانى ومسدد خطاه ونافقه بحرارة الجنوب ، و « كلوبستك » ملتون الالمان ، وهردر الذى نجح بجيئى على النهج القويم فى فهم اليونان وشكسبير والعودة إلى مآثر التيوتون ، وكلهم سابقون بجيئى في الميلاد بزمن قصير

على أن المدرسة أو الطريقة التى لا يحسن بناؤن ننساها فى هذا المقام هى المدرسة التى عرفت باسم الزوبعة وراجت فى ابان نشأة جيئى أيماء رواج : سميت باسم رواية تمثيلية للأديب « كلنجر » ودللت تسميتها هذه على حقيقة ما ترمى إليه ، فهى مدرسة جامحة لا تذعن لقيد قديم ولا حديث . ورواية « جوتز » التى ألفها جيئى فى شبابه هي احدى ثمار هذه المدرسة بغير خلاف .

\* \* \*

هذه لمحه عاجلة — بل عاجلة جدا — عن تاريخ الحرية الفنية في الأمة الالمانية الى عهد جيئى : وهي بمثابة تصوير اتجاه

النهر دون تصوير فروعه وقنواته ومدنه ، وربما حدث في  
 بحاري الأنهر أن يتفرع عليها الحدول فيسبقها إلى الأمام  
 أو يكر راجعا إلى الوراء . بينما النهر الأصيل متوجه إلى  
 الشمال اذا بفرعه الكبير او الصغير يتوجه إلى الجنوب  
 وهذا الذي حدث في نهر الآداب الالمانية من بداية ينبعه ،  
 فبقيت فروع منه في وادي المجاز حين تدفق مجراه إلى وادي  
 الصراحة ، وقامت مدائن منه على فرعين : أحدهما مجازي  
 وثانيهما صريح ! وما من أسلوب إلا رجع مرة بعد مررة على  
 تفاوت في القوة والغزاره ، ظهرت المجازية في عهد جيتي  
 بلغة الرسالة احيانا عزيزة الأنصار ، وجاءت في هذه المرة  
 تحوم حول الكنيسة وتنادى بأن الفن لم يزهر قط بمعزل عن  
 كفالة الدين ، ورجع غير ذلك الأسلوب في ذلك العهد الخافل  
 بالنقائض والبدوات . الا أن شيئا واحدا تقوله في  
 جميع هذه الأحوال وأنت على ثقة من الصواب ، وهو أن  
 الأغاني والأساطير القومية وأحاديث الأبطال الغابرين كانت  
 تصاحب النهر أبدا في كل مجراه وكل قناة ، وشيئا آخر تقوله

أيضاً وأنت على ثقة من الصواب : وهو أن جيتي كان سليل هذه العناصر جميعها ففيه مشابهه بارزة أو غير بارزة من قدديها وحديثها : يشبهها شبه الابن بآبائه وأجداده لاشبه المحاكي المفتون بمن يحاكيه ، وفرق بين الشبيهين جد بعيد ، فإذا جاء الولد على آسال آبائه وأجداده فأنت لا تقول عنه انه يحاكيهم ويتعد مشابهتهم ، بل ربما جاز لك ان تقول انهم ينتسبون اليه كما تقول انه ينتسب اليهم .

\*\*\*

وبعد فلن تمام الكلام في هذا السياق أن نعرض لحالة القصة والتمثيل قبل أيام جيتي بلحظة أخرى ، لأنه ساهم في القصص وأصلح في التمثيل غير قليل وألف للمسرح واشتغل زمناً بادارته فاما القصة فقد كتب فيها بعض الأدباء النابهين كتابة لا يأس بها بعد حرب الثلاثين واتخذ لها من الفروسيّة العارمة المقتحة موضوعاً يناسب القلقل والمخاطر التي كانت فاشية في تلك الأيام . ثم ركبت فترةً ريثما استوعبت الأذهان القصص المنقوله عن اللغات الاجنبية من طراز

«روينسون كروزو» الانجليزية و «دون كيشوت» الاسبانية و روايات النخوة التي اشتهر بها اقليم بروفنس ( Provence ) في فرنسا . قهرياً المقلدون لمحاكاتها وكثرة الكتابة القصصية وأخذت في التقدم ، وهي مع هذا لا تسلم من عيوب الطريقة المجازية التي تلزم المغزى والعبرة في كل رواية وفي كل نادرة، كما القصة عمل «وعظى» مقصود لهذا الغرض وليس عملاً فنياً تتجلى فيه العظات اتفاقاً أو لا تتجلى على الاطلاق ، ونشأ جيتي فأدرك القصة الألمانية وهي على هذه الحال تتراوح بين العظات والفنون

وأما التمثيل فقد أصلح فيه جوتشيد ولسنغ وونكلمان ما ييسر لهم أن يصلحوا ، ولكنه بقي مع هذا فنين يكاد يستقل أحدهما عن الآخر ، لافنا واحداً في تطور واحد كما كان عند الفرنسيين والإنجليز . فالعالى منه كان مقصوراً على مسارح الأمراء في قصورهم التي لا يدخلها غيرهم ومن يصطفونه لمحالسهم ، أو مقصوراً على الطلاب في الجامعات يلهون به قترة بعد قترة على غير انتظام ، والوضيع منه موكل إلى الفرق

الطواقة التي لا كرامة لها ولا متسع للنبوغ فيها  
 ثم تولته عنية الأمراء والادباء رويدا رويدا حتى ارتقى  
 بعض الارتقاء، ولكنك خليق ان تعلم مدى ارتقاهم هذا متى  
 علمت ان الناظارة كانوا يعاذرون الخنز في ردهة دار التمثيل  
 ويدخلونها بأطفالهم وكلا بهم في أيام « فيمار » الزاهرة، وهي  
 الايام التي أشرف فيها جيتي على ادارة التمثيل

\* \* \*

وإلى هنا قد يستريح ضمير الكاتب الاوربي الى السكوت وهو  
 يصف العناصر التي اشتراك في تكوين جيتي فلايزيد على ما تقدم .  
 الا أن الكاتب العربي مطالب فيها نعتقد بكلمة أخرى قلها  
 تعثر بها في تراجم الاوريين لذلك الشاعر . فليس يسعه الا أن  
 يضيف الى ما تقدم كلمة واجبة عن العناصر الشرفية التي اتصلت  
 بجيتي وأثرت فيه بعض التأثير ، فما لا ريب فيه ان للعربية فضلا لا ينكر  
 في تشريف جيتي وتغذية خياله ، لأن آداب العرب وصلت الى الالمان  
 في العصر السابق لعصر جيتي من طريقين لا من طريق واحد :  
 أحدهما مباشر وهو طريق الترجمة من العربية الى الالمانية ، والآخر  
 غير مباشر وهو طريق الآثار التي ترجمت عن الانجليزية والاسبانية

والفرنسية وكانت فيها مسحة واضحة من الآداب العربية فقصة «Robinson كروزو» — وهي من أهم ما أثر في القصص الألماني — مدينة لرحلات السندباد وأسطورة حي ابن يقطان الفلسفية اللتين ظهرتا في الانجليزية قبل «Robinson كروزو» بزمن وجيز . و «دون كيشوث» الإسبانية — وهي كذلك من أهم ما أثر في القصص الألماني — عربية في الفكاهة والتقطيم وتکاد تكون بعض أمثلها ترجمة حرافية للأمثال المعروفة عند الاندلسيين ، وشعراء بروفس — وهم أصحاب أثر واضح في القصص الألماني — قد أخذوا كثيراً من شعر الاندلس حتى أوزانهم التي تشبه أوزان أزجال ابن قزمان(١) فاسم الأدب العربي لن ينسى اذا ذكرت اليوم أسماء الآداب التي مازجت عقريّة «جيتي» أو مازجتها تلك العقريّة العظيمة ، وهو نفسه قد أدى شهادته لذلك الأدب بديوان طريف ظريف سماه «الديوان الشرقي» نسج فيه على منوال العرب والشريقيين في الغزل والوصف والحنين ، وستتكلم عنه بعد ، وترجم منه طرقاً في باب المختارات .

(١) راجع فصل الاستاذ جب في كتاب رسالة الاسلام «The Legacy of Islam»

## نبأ جبى

١٧٤٩ — ١٨٣٢

كان جيتي يغبط صاحبه شيلر لموته في العقد الخامس من عمره ، فذكره أبدا مقرونة بذكر الشاب المحبوب والنضارة الموموقة

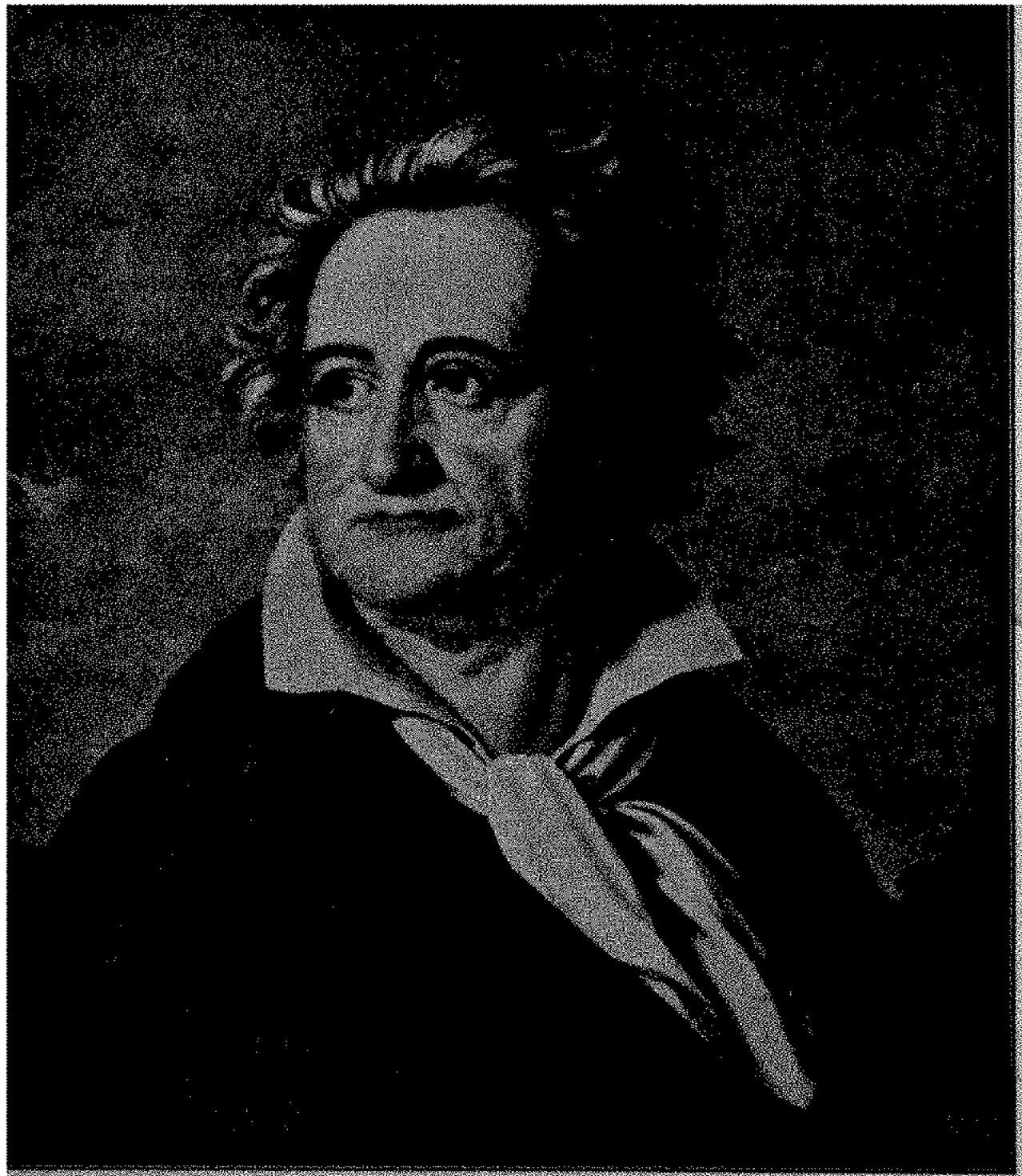
وقلما يصيب المرء في تمنيه ولو كان من الحكاء . فلو مات جيتي في سن صاحبه لضاع أكبر نصيبيه من الشهرة وهبطت مكاناته في عيون قومه وعيون سائر الأقوام ، لأن طول عمره أقامه في الأدب الألماني الحديث مقام الأبوة والرجحان ، وأتاح له أن يتم مابدأه من الكتب في أوائل الحياة

لكنه كان يتمنى ذكر الشاب على خطأ أو على صواب ، فعزاه له ولاريب أن تضممه الأرض اليها وهي في نضرتها وان تلف ذكره في أكفان ريعها ، فقد مات في الثاني والعشرين من شهر مارس خاتمة الشتاء ، فلا يذكرهذا كرون الا بدرت إلى اذهانهم صور الربيع في مطلع وروده ورياحينه ! وتلك قسمة

خير من قسمة صاحبه المعاشر قبل أوانه؛ وان لم يكن فيها  
محاباة من القدر ولا اجحاف

نعم لا محاباة من القدر في هذا الازدواج بين تحية جيتي  
وتحية الريبع، فاما عاش الرجل حياته كلها على طولها في ربيع  
ناضر من نسج الفن والطبيعة على السواء . ونشأ في حجر  
الجمال من لدن كان في طفولته الأولى الى أن ينبع على الثمانين ،  
في الرابعة عشرة حب وجمال وفي سرير الموت حب وجمال !  
وكانت احدى كلماته الأخيرة في غيوبه الاختصار اشارة الى  
رأس امرأة في الخيال . فقال لمن كان يراهم في غيوبته من  
ملأ الفنون : « انظروا الى رأس تلك المرأة الفاتنة ذات  
الغدائر الفواحم في لونها الفاخر من ورائها الظمارة  
السوداء ! » : وهكذا كانت عيناه لاملان محسن الدنيا في  
صحوة لا غيبة ، وقلما فارقه الصحو في أزمات الروح والجسد ،  
وقلما احتوته الغيبة الا في قبضة الحمام او في قبضة السقام .

بل لقد خطب الرجل وهو في الرابعة والسبعين فتاة في  
الناسعة عشرة ! فلما أعرضت عنه تشفع إليها وإلى أمها بأميره



حيتى فى سنة ١٨٢٦

الذى حقق فيه قول أبي الطيب :

علَّ الامير يرى ذلي فيشفع لي

عند التي تركتني في الهوى مثلاً

فلم أصرت أمها على الرفض كما ينبغي أن تصر كل والدة  
في مثل هذه الخطبة انقلب إلى بيته مزوداً بقبلتين اثنتين جادت  
بهما الفتاة عليه في موقف التعزية ! وراح يعاني برح الغرام وينظم  
قصائد الغزل ! وينسى أنه لا يجدو للدنيا في صورة ربيعة وان  
كانت الدنيا لا تبدو له الا كذاك !

وظلت الحياة يانعة لقريحته كما ظلت يانعة لقلبه ، فأنعمت  
شجراته في الفن والعلم أطيب الثمر ، وأخصبت أيامه كلها في شتى  
المباحث والمشاركات كما خصب ما عرف في أيام الشعراء المفكرين ،  
فن شعر الى شريعة الى سحر الى تصوير الى موسيقى الى طب  
الى معادن الى نبات : تختلف في الجودة ولكنها لا تختلف في  
النماء ، فان أينعت منها جوانب وأقفرت جوانب أخرى فكما  
تختلف البقعتان في الأوان الواحد هذه عداتها الماء والزرع وهذه  
يحرى إليها الماء وتعمل فيها يد الأكار ، وكلتا هما مطويتان في أوان

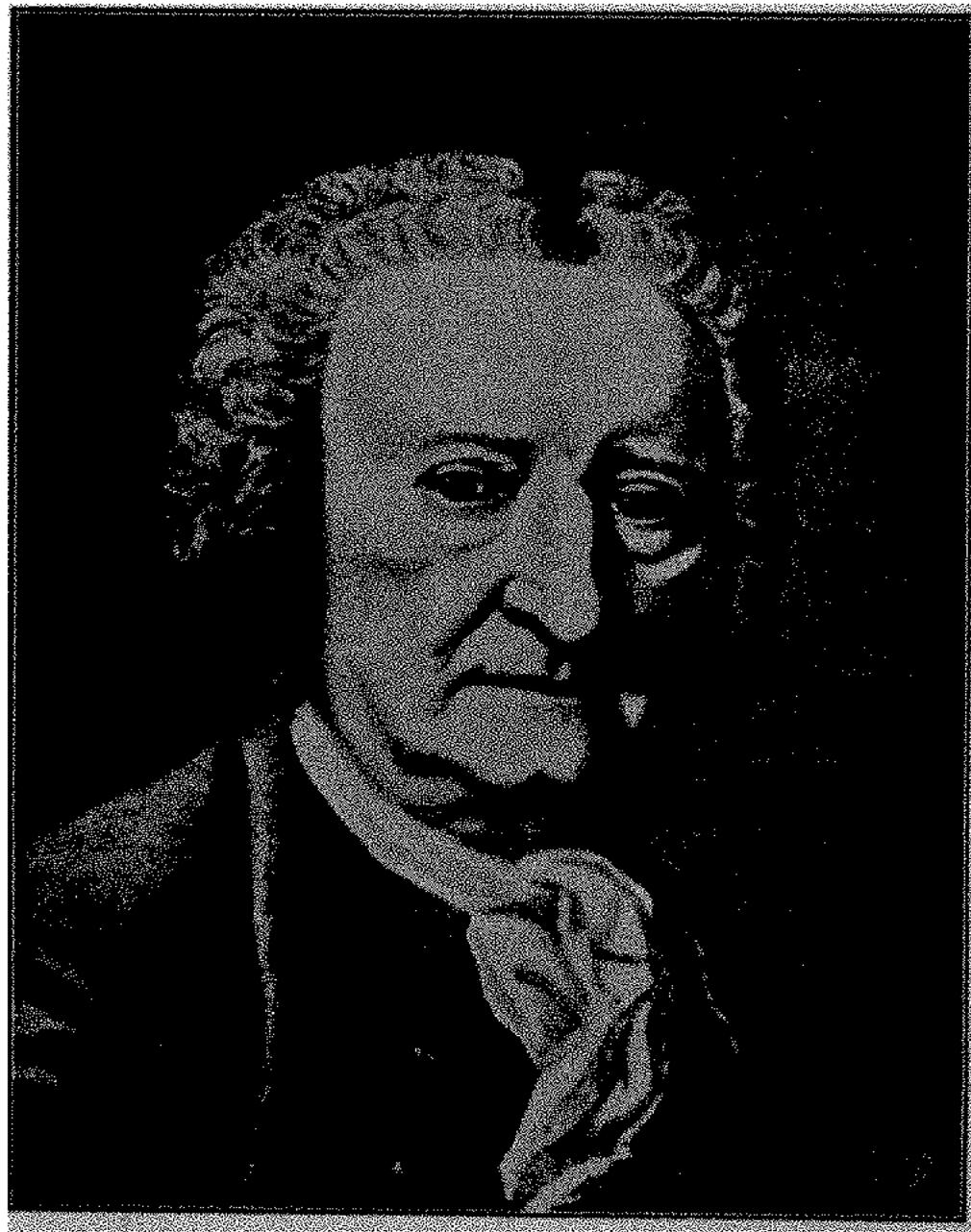
الربيع ، وليس اختلافاً كاختلاف الربيع والشتاء، أو كاختلاف النمرة والذبول .

أجل ! هو ربيع دام في هذه الأرض نيفاً وثمانين عاماً يخصب حيناً كالمخصوص بالربيع ويجدب أيضاً كالمجدب بالربيع ، وهو ربيع الطبيعة والفن معاً .... فان شئت فقل انه تمثال حياة ، وإن شئت فقل انه حياة تمثال ! ولكنك لا تستطيع أن تتصوره دون أن تجتمع في تصورك إياه بين الحياة والتمثال في إهاب واحد ! وستعلم من تفصيل وصفه اللاحق أننا نعني الحقيقة هنا ولا نعني اللعب بالكلمات

\* \* \*

ولد جوهان ولفجانج جيتي بمدينة فرنكفورت في الثامن والعشرين من شهر أغسطس لسنة ١٧٤٩ ، من سلالة كان فيهم الحائط والمداد والبيطار والضابط والتاجر ، فهم من ناحية الآبوبين صناع ارتقاوا إلى طبقة الموسرين . وكان أبوه في الخامسة والأربعين وأمه في الثامنة عشرة حين ولد لها هذا الطفل المشكوك في حياته الذي عاش بعد ذلك إلى الثالثة

والثائرين ، فلشب في بيت لا تقارب فيه بين الآبوبين في السن ولا تقارب في المزاج ، اذ كان أبوه جافيا شديدا في « النظام »



جوهان كاسبر والد جيتي

حريراً على سمت وجهه ولقبه الذي اشتراه بمال ،  
مير النفس لفشلها في رجاء العظمة والظهور ، وكانت أمه



كاترينا اليصابات والدة جيتي  
( م - ٢ )

طرو باضحوكا مشغوفة بالسرور . ووصف جيتي في شيخوخته ما ورثه من كلِّه ما فقال انه ورث من أبيه قوة الحالجة والشك والتطلع . وورث من أمه المرح وحب الحياة والخيال ! وكانت أمه فيما عدا ذلك تقرأ الكتب الخفيفة من أدب الألمان والطيarian فثبتت في ولدها - أو في أخيها كما كانت تسميه بعض الأحيان - هو القراءة والتخيل والأقاصيص ، فيراوه منها في القرية أكبر وأذكى ، وشبهه بأبيه أقرب وأوضحت كماتري في صور الثلاثة

تعلم اللاتينية والإيطالية والفرنسية في طفولته الأولى ، وكان أبوه يتولى تعليمه في معظم الأحوال لأنَّه درس علوم الحقوق وحصل فيها على لقب الدكتوراه ، وكان يؤلف في الإيطالية وله رحلة مكتوبة بها

ولما بلغ جيتي السابعة نشبَّت حرب السنوات السبع بين النمسا وبروسيا فكانت أمه في جانب «ماري تريزا» وكان أبوه في جانب «فرديريك» الكبير ، أما هو فكان - هذه المرة - في جانب أبيه ثم احتلت فرنكفورت فرقه فرنسية تساعد النمسا على

بروسيا ، واحتل قائدتها « ثوران » منزل جيتي فقدم الطفل الصغير من هذا الاحتلال قائدة لاتنسى ، لأن ثوران كان ضابطاً مثقفاً يحب مجالسة الأدباء ورجال الفنون ويجمع الصور النبوسة ليرسل بها إلى سلاده ، ولأنه أذن لجيتي أن يشهد المسرح الفرنسي الذي كان يرافق الجيش في احتلاله حيث شاء أن يشهده ، وتلك مزية يفرح بها الطفل في العاشرة سن جيتي في ذلك الحين ، ولا سيما طفل من غراره مطبوع على حب الفنون

وأخذ يتعلم الرياضة والموسيقى والتصوير واللغة الانجليزية وهو في الثانية عشرة ، فاخترع قصة يعيش أبطالها في ممالك مختلفة ويكتب كل منهم إلى صاحبه بلغة بلده ، ليحذق هذه اللغات ويقتلن في أساليبها . وأدت به قراءة التوراة إلى درس العبرية فنظم الشعر في قصة يوسف وإخوته ، وكان يملئ ما ينظمه أو يكتبه على زميل له من صنائع أهله ، فتعود الاملاء عادة لزمنه طول حياته . ثم برح ييت أبيه إلى جامعة ليزج ليدرس فيها الشريعة وما إليها وهو في السادسة عشرة ، فبقى زمناً يدرس الشريعة ويزور

المتاحف ويمارس التصوير ويلهوا أحياناً ويحرب الهوى والهجر  
 والغيرة والاسراف كلما اتفق له ذلك ، حتى ضنى جسمه وأصيب  
 بنزيف أوشك أن يقضى على حياته . وعاد إلى بيت أهله بعد  
 سنوات ثلاث وقد تداعى جسده وتداعى يقينه ، فلبث فيه أشهراً  
 بين الموت والحياة . وهنا ستحت له فرصة الفراغ لدرس  
 الكيمياء القديمة والسحر والطلاسم مع بعض الأطباء ، فقرأ  
 فيها ماشاء وخرج منها كما خرج من جميع مباحثه بمتعة الفنان  
 وتأمل الفيلسوف . ثم قصد « سترايسبورج » في هذه المرة  
 ليستأنف دراسته في جامعتها ، وكانت المدينة فرنسية في الحياة  
 العامة وأساليب المعيشة ، فتزود من حياتها وعلومها وصاحب  
 طلاب الطب والعلوم الطبيعية فحضر معهم دروس الطب وطبقات  
 الأرض وما إليها ، وشاهد هناك الكنيسة الكبرى خبيرة إليه  
 الفن القوطي القديم بعد نفور وسوء ظن ، وكان لهذه الكنيسة  
 أثر بلين في تقديره للعصرية الألمانية وتقديره لآداب وطنه  
 ثم أتم دروس الجامعة وهو في الثانية والعشرين ، وراح  
 يتدرّب على المحاماة في « فتزلار » ويحب كدأبه أينما  
 كان وأنى كان ! فالتحق بالفتاة « شارلوت بف » وأحبها

ووصف جبه ايها في قصة «آلام الفتى فرتر» مع شيء من التحوير يقصد به المداراة وصرف الأنظار ، فاشتهرت القصة وذاع اسم مؤلفها بين العالية والمتأدبين وسائر الطبقات ، وفي طليعتهم «كارل أوغست» أمير «فيهار» الفتى المحب للفنون والأداب . فلما كان هذا الأمير يعبر «فرنسكفورت» في طريقه الى باريس اواخر سنة ١٧٧٤ استقدم جيتي اليه ودعاه الى عاصمته ، ثم تكررت الدعوة فلباهما جيتي وهو لا يقدر البقاء الطويل في تلك العاصمة . وكان من أسباب تلبيته حادث غرام يريد أن يفلت منه ونفور من صناعة المحاماة يحسن له هجرها ولو الى حين ، فقد بدأ فيها بدأة مضحكه ولم يمح النجاح اليسيير الذي أصابه فيها نفوره الأول منها ، وقد أشار الى هذا النفور في رواية «فونست» أثناء الكلام عن العلوم والدراسات

\*\*\*

كان الأمير رئيب الأدباء نشأ على دأب أهله مشجعاً للأداب الألمانية ، وكان قتي كريم النفس عارم الفتوة لا يفتاً بين صيد

وطرد ومبيت في الخلاه، ودعابة ومجون ، وكان له مذهب في



حيقي وأمير فيمار

الحب كذهب جيئ لولا أنه جامع وثاب وجبي لا يطيق الصبر  
 الطويل على الجماح والوثر : ومن غرائبه في هذا الباب أنه  
 أمر بأن تجتمع له مكتبة تضم أشتات ما كتب الكاتبون قديما  
 وحديثا عن الحب بجميع ضروبها وأشكاله ، ومن دلائل  
 نبله في شبابه وكهولته أن أناساً وشوا عنده بالفيلسوف  
 « فيخت » واعتراضوا على توظيفه بجامعة « يينا » لنزعته  
 الثورية الظاهرة ، فوضعوا بين يديه كتاباً من كتبه ليقرأه  
 ويعدل عن توظيفه . . . فلما قرأ الكتاب أمر بتوظيف الفيلسوف  
 عرف كل من الأمير والشاعر صاحبه معرفة البصير الناقد  
 والصديق الشاكر للفضائل المتسامح في العيوب ، فتوثقت  
 بينهما الصداقة ودامت مدى الحياة ، وفي عاصمة هذه  
 « الامارة الصغيرة » تولى الشاعر مناصب الوزارة العالية  
 وتقلب في أعمال شتى منها ما هو متصل بثقافته كالتعليم والتثليل  
 ومنها ما هو بعزل عنها كالزراعة والمعادن وال الحرب ، فسوى  
 بينها في العناية وأخلص لها جميعها إخلاصه للشعر والقصة .  
 ولو الأله الأمير برعايته خلال ذلك كله فلم يدخل عليه بشيء يتوقف

اليه . فلما أحب أن يزور إيطاليا تركه يقيم فيها نحو عشرين  
شهرًا ووظيفته جارية وأجره غير ممنون ، وقد نفعته هذه الرحلة  
فيما أقنعته برفضه وفيما أقنعته باخذه . فقد عدل عن طلب التفوق  
في التصوير ونفذ إلى صميم الفن القديم

وعلى طول العشرة بين الرجلين لم يقع بينهما من الخلاف  
الا ما يقع بين الآخرين أو بين الصديقين الحميمين ، فاصطحبها  
في أعمال الدولة حتى قضى الامير نجبه وأحس جيتي تغير الحال  
فاعتزل جميع هذه الأعمال ، وان فضل الامير في هذا الوفاء  
لفضل ياحقه بأكبر ذوي التيجان وان كانت أماته من  
أصغر الامارات

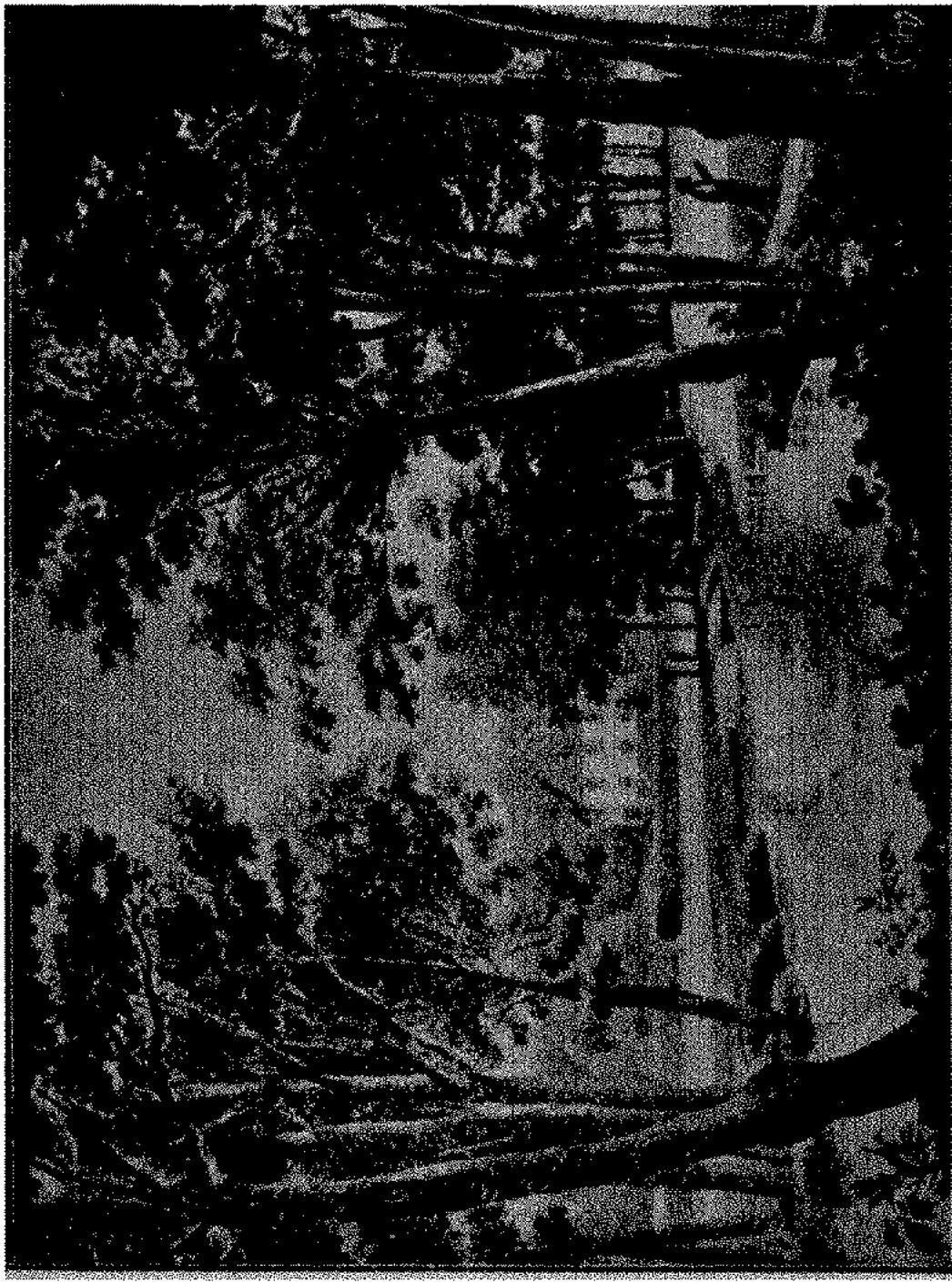
نعم فاسم « فيمار » الآن اسم عظيم بين البلدان يحفل به  
سحر الطبيعة وسحر الشعر وسحر المؤثرات ، اشتق  
الألمان اسمها من الكرم فسوها فاينمار « Weinmar »  
أى سوق المخمرة ، واقترب تاريخها الحديث بتاريخ أكبر الأدباء في بلاد  
المجر مان أجمعين ، واتصل عهدها القديم بعهد « لورث » المصلح  
الكبير الذي عاش فيها وخطب فيها وانخذلها معقلًا يناضل

منه روما فيها كان لها من سلطان الملك والدين ، وأراد الألمان أن يخطوا أساس دولتهم الجديدة بعد الحرب العظمى فلم يجدوا بلدا غير فيمار عاصمة «الروح» في ألمانيا التي لم تتنكر لها الدنيا كلها حين تتنكرت برلين وملوك برلين . ولكن هذا كله ما كان ليذكر عن « فيمار» لولامروءة «كارل أوغست» وأريحيته وعلوهاته وترحبيه في عاصمته الصغيرة بكل عظيم الفكر والنفس في دولة الجerman الرحيبة الأكنااف ، فلو لاه لما كانت « فيمار» إلا قرية صغيرة يضيع اسمها بين أسماء الحواضر ولا تحتويها الخريطة إلا من باب الاحصاء

\* \* \*

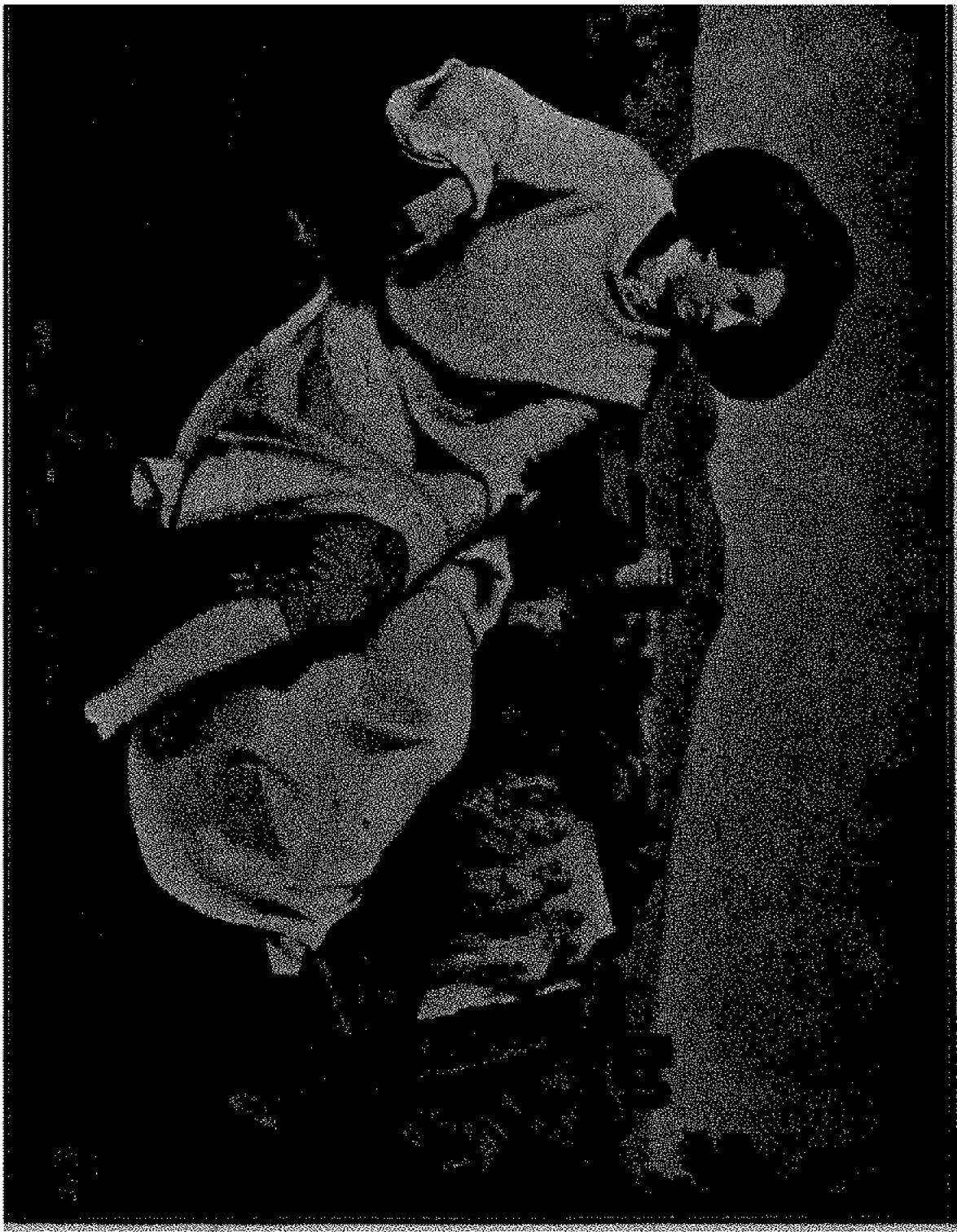
هذه هي القرية التي أوى إليها الشاعر من خامس نوفمبر سنة ١٧٥٥ إلى اليوم الذي مات فيه ، يداول ينهى في الإقامة وبين «يينا» القرية منها . لم يفارقهها السياحة أو غربة قصيرة ، ولم يقع له فيها من الحوادث ما يستحق أن يسمى بالحوادث . اذ كانت حياته حياة الفنان المتملى والحكيم المتأمل ، فهي حياة الخوالج والمؤلفات وليس حياة الواقع والاختطار

ولقد عاش في عصر الثورة الفرنسية ولقي نابليون



بیت جیجی المخلوی بین حدائق فیمار

أعظم رجال الدول في ذلك الزمان ، ولكنك اذا سطرت تاريخه استطعت أن تمحى ذكر الثورة بأسرها دون أن تخلي معك قواعد ذلك التاريخ ، واستطعت أن تلغى لقاءه لنابليون ولكنك لا تستطيع أن تلغى لقاءه للأديب هردر أو الشاعر شيلر ، بل لا تستطيع أن تلغى لقاءه لحسناه من أولئك الحسان اللواتي غذينه بعذاء الأرباب من نور العيون ووهج القلوب ، فكل حسناه عرفها كان لها شأن في آثاره أجل من شأن نابليون على اتنا نحسب أن أعظم حوادث التكوين والتوجيه في حياة هذا العبقري المعمراً مما يبحث عنها في سنواته العشر الأولى لا فيها أعقب ذلك من سنوات الشباب أو الكهولة أو الهرم : ففي سنته السادسة وقع زلزال لشبونة فطال فيه جدال الناس في العدل الالهي وسقطت بذور الشك في ضمير الطفل اليقظ المستrip . وفي سنته السابعة شبّت الحرب بين النمسا وبروسيا فسمع عنها في بيته كل ما يقال عن مطامع السياسية وحركات الشعوب من الجانبيين المتحاربين ، وفي سنته العاشرة شهد التثيل الفرنسي ورأى مظاهر القوة الفرنسية ،



جي في إيطاليا

وهل في عناصر حتى الشيخ الملقى على سرير الموت مايزيد على هذه الأصول؟ قد يكون، ولكنه بعد من قبيل الاضافة

والتفصيل لامن قبيل التكوين والتوجيه

ومات الشيخ في مولد الأرض وعرض الريع : مات وهو يطلب المزيد من النور ويهتف بمن حوله وهو يجود بنفسه أن «فتحوا النافذة ليدخل النور» ... ثم بجز عن الكلام فطفق يومئ بأصبعه في الهواء ويكتب بها كلمات وأوائل كلمات .. كأنه لا يريد

أن يكفي عن «التعبير» وفيه رقم حياة

ولا حاجة بنا إلى علم الأسرار لنفهم معنى النور الذي طابه حتى وهو يودع الحياة ، فلقلائل أن يتعمق في التفسير ويذهب إلى معنى للنور أخفى من هذا المعنى الذي تراه العيون . أما جيتي فما طلب قط شيئاً أنفس وأقدس من نور الشمس في وضح النهار ، وما كان الضياء الخفي في أقدس معانية الأدون هذا الضياء المشهود تقاسة في عينه وضميره على السواء

## المرأة في حياة جيتي

الأنوثة الأبدية تجذبنا إلى النساء

«جيتي»

أردنا أن نفرد كلمة خاصة للمرأة في حياة جيتي لأن شأن المرأة في حياة هذا الشاعر أجل من أن يُعبر في ترجمة وجيزة كالترجمة التي تتسع لها هذه الرسالة

فهو لم يفرغ يوماً من الحب وذكرياته، فأحب طائفة شتى: ممن الفتاة والنصف، وممن الشقراء والسمراء، وممن التي أحبها للرشاقة والدماة، والتي أحبها للجسد والمتعة، والتي أحبها للذكاء والخصافة، والتي أحبها للعطف الاتشوى الذي يحتاج اليه الرجل الشاعر في حياته النفسية، وكلهن أفسدته في أدبه وسريرته. فاتخذ بعضهن بطلات للقصص وصفهن على الحقيقة وصف الملمهم العارف، واتخذ بعضهن صديقات أمينات يكافنهن ويكتشفنه ويعطف عليهن ويعطفن عليه. وكلهن أفسدته رجلاً وشاعراً وصاحب منصب في الحكومة، فمن لم يدخلهن في روايته وأثنائه فقد عرف

منهن طوية نفس المرأة ودخيلة الطبيعة الإنسانية ، فخى  
 أحسن الثمر من الحب والصداقه  
 وقد كانت سليةة جيى سليةة الشاعر المحب للمرأة المتهيأللعاطفة ،  
 فلهذا كثر عشقه وتعددت عشيقاته ، ولكننا خلقاه الا  
 ننسى هنا بقية آداب الفروسيه التي هام بها الألمان في أواخر  
 القرون الوسطى ، فانها فرضت الحب على الظرفاء والظريفات ،  
 وهيأت لجيى هذا السبيل الممهد في نفسه وفي نفوس النساء  
 ويطول بنا الشرح لو ذهبنا نخصى كل من عرفهن في شبابه  
 ومشيه ، فذلك درس دقيق شامل يخرج بنا عن القصد فيما  
 نحن فيه ، فلنختزىً هنا بالإشارة إلى النساء اللواتي كن أظهر  
 أثرا في سيرته وأطول صحبة لذكرها ، وأولئك فيما نعتقد  
 خمس : هنـ. « شارلوت بف » و « انااليصابات شونمان »  
 و « البارونه فون ستين » و « بيينا بررتانو » و « كريستيانا  
 قليوس »

\* \* \*

أما « شارلوت بف » فهي صاحبة قصة « فرتر » وهي مثال



شارلوت بف

الفتاة الألمانية المذهبة الوديعة الصالحة للبيت والبنين مع ميل الى السرور البريء . ماتت أمها وهي في نحو السادسة عشرة فقامت مع أبيها على تربية أخوتها الصغار وعرفت في البلدة باسم «أم الأطفال الحسان» . وكانت لها أخت أكبر منها اسمها «كارولين» ولكنها هي التي كانت تخدم الأطفال وتحنون عليهم . فنامت باثقال الكفالة والتديير وهي في هذه السن الصغيرة ، فنشأت أميل الى الجد والرصانة منها الى اللعب والمراح وجاء جيتي في سنة ١٧٧٢ يتدرّب على المحاماة في «فزلار» حيث كانت تقيم . فرأها وشغف بها وأعجب بحسنها وحاجها للطبيعة واصغرتها الى الأدب وفكاهتها السهلة السموح ، وكانت هي تألف عشرة وتجامله ولكنها ترده الى حدود الصداقه بأدب ولباقة ، لأنها كانت مخطوبة لفتى آخر موظف في احدى السفارات اسمه كستر أكبر من جيتي بضع سنوات ، وكان كستر صديقاً لجيتي عرفه من بداية وصوله الى «فزلار» . فتعقدت الصلات أيما تعقد ، ووجب على أحد الرجال أن يخل المكان لصاحبه قبل أن تفسد الصحبة بين الجميع

ولم تكن شارلوت تؤثر الزواج بالشاعر على الزواج بكسندر ،  
لأنها كانت فتاة البيت التي توحى إليها الغريزة اختيار الزوج  
الصالح والمحبة المستقرة ، فلم يبق جيتي الآن يتراجع ويتوارى  
في غير جلة ولا غضب . وقد فعل

وراح جيتي يتلدد ويتوجع لهذا الفراق وهذه الخيبة ،  
ولكنه شعر ببعض الراحة بعد أن ألف روايته عن « آلام  
الفتى فتر » وأودعها ما أودع من خواطره وأشجانه ، ولعل  
من عبر العاطفة الإنسانية أن نعرف كيف التقى جيتي وشارلوت  
بعد نيف واربعين سنة من هذا الفراق ، فقد زارته في فيمار  
تساله الرعاية لولديها أوغست وثيودور ، فلقيت الشيخ جيتي  
مؤدبًا مفترطاً في الأدب ، وبحثت من وراء هذا النقاب عن  
ملامح الفتى جيتي في غير طائل

رأيت فيها شيخاً لست أعرفه و كنت أعرف فيها قبل ذاك قى  
وتعسر الحديث بينهما ومل كل منها صاحبه في فترة قصيرة ،  
وخرجت تقول « لو رأيته في الطريق ولم أعرف اسمه لما ترك  
في نفسي أقل أثر ! »

وهكذا تتغير الآمال وتتقلب القلوب !

\*\*\*

أما «أنا اليصابات شونمان» فهي التي أوحى إلى جيتي بعض ماظر الجزء الأول من رواية «فوسٌت» وأهمها شخص



ليلي

« مرجريت » بطلة تلك الرواية ، وقد خلديتى هذه الفتاة باسم « ليل » في أغانيه الشجية وقال صديقه « اكرمان » الذى نقل اليانا أحاديثه أنها كانت الاولى والأخيرة التى انطوى لها على أصدق الحب

عرفها فى فرنكفورت بعد فراقه لشارلوت بثلاث سنوات، وكانت تقاربها فى سنها ولكنها على تفاوت فى البيئة والخلية . فقد كانت « ليل » بنت صاحب مصرف سرى يعيش فى قصره عيشة الترف والظهور، وكانت لعوب اعاشه تلمو بالحب والمحبين ، ووصفها جيتى فى قصيده « حديقه ليل » فإذا هي أشبه بالساحرة اليونانية التى ذكرتها لنا الأساطير وقالت لنا انها كانت تمسخ من تحب حيوانا سلس المقادة يهبط فى حبها حيث شاء . « فلا معرض للسباع أحفل بأصنافها وأجناسها من معرض ليل ! فهى تقنو فيه أتعجب الحيوان وتقنصها ولا تدرى كيف وقعت لها » كذلك قال جيتى فى مطلع تلك القصيدة . ثم قال : « وما اسم الحورية الحسناء ؟ اسمها ليلى او ياك والمزيد فى العرفان بها ! بل ان كنت لا تعرفها فاحمد الله على ذلك ، وما أكثر الصخب والتغريد اذا هي طلعت

على سباعها وفي يدها سلة الحبوب ..... كل هذا من أجل فتات من الخنزير العيسى ! ولكنه في كفيه فهو الشهد الحلو المذاق ». ثم قال : « ويالنظرتها من نظرة ويلهاتفها باسم يبي يبي من هتف ! انهم لتسهويان النسر من أريكة جوبيتر ! ويمينا لتقبلن حائتم فينوس الوديعات إليها ويقبلن الطاووس الفاخر معها لو أتيح لها سماع تلك النبرة . وقد أعرف دباساء تعليمه وتنظيفه جذبته من ظلمة الغاب لتقوده تحت مقرعتها وتروضه كاتروض غيره ..... تقولون : أنا ؟ من ؟ ماذا ؟ نعم يارفاق . أنا ذلكم الدب الذي وقع في المحبالة مشدوداً بحبل من حرير » ثم قال بلسان ليلي تذكره « وحش ، أجل ! ولكنه مؤنس لا بأس به : هو أودع من أن يكون دبا وأوحش من أن يكون كلبا » ثم ختم القصيدة صائحاً « أيتها الآلهة ! أليس في قدرتك أن تمسحى عنى هذا الطلسم . يا الشكرى ورضاوى لورددت على الحرية المسلوبة ! ولكن رويدك أيتها الآلهة لاتسعفني بعونك . كلا ! فليس عبثاً أن تضطرب أوصالى كما تضطرب الساعة . أقسم أن في بقية من القوة أحسها تجول في أوصالى »

ولا يبعد أن يكون جيتي في هذه القصيدة ناظراً إلى قصة روسو وصاحبته مدام دينيه التي كانت تدعوه بدبها. ييد أن القصيدة مع هذا كبيرة الدلالة على «ليلي» وعلى الشاعر المتهكم الصادق في التهكم. فأى وصف لجيتي أصدق من وصفه لنفسه بالدب بين السباع ! إذليس هو بالنمر الهجامة المغتال ولا هو بالفيل البطيء الأنليس ، ولكنه قوام يينهما و «أودع من أن يكون دبا وأوحش من أن يكون كلبا» ... وهذه صورة لجيتي سيدكرها القارئ « كلما ازداد علينا بخلائقه وأخباره

تلك هي ليلي وذلك هو جيتي ! فاما «ليلي» الفتاة اللعوب فما كانت لترضى أبا الشاعر الحريص على العرف والآداب المثل في البيئة القديمة ، وأما «جيتي» الفتى القليل اليسار فلم يكن ليرضي صاحب المصرف الحريص على الثروة والسرعة ، ولو وقف الأمر عند هذا لما صعب تدييره وتذليل عقباته ، وإنما العقبة الكبرى في الحقيقة هما الحبيان لا والد الحبيبة ولا والد الحبيب . فلا ليلي كانت تجد في طلب الزواج ولا جيتي كان يجد في طلبه ، ولكنها رأت بين يديها فتى وسيما

مشهوراً يتحدث الناس بروايته عن «آلام فرتر» وبالحب الذي أوحى تلك الرواية فودت أن تجرب قدرتها في فتنته، وكذلك رأى هو حبّية فاتنة مزهوة لعوا با وهو يعالج رسائلاً من الحب القديم فهو يها وتعلق بها . وظل هكذا متربداً لا يبلغ من عشقه أن يشتد فيحطم الحوائل ويقدم على الزواج ولا يبلغ من اعراضه أن يتぬى وينسى . وإنه ل كذلك إذ أنقذه رسول الأمير بالدعوة إلى فيمار ، فلباهما وان ما به من رغبة الافلات لفوق ما به من رغبة اللياذ بالأمير

\* \* \*

وما استقر في فيمار حتى أخذ يتسلى عن هذه الخيالية الجديدة بعشوقة جديدة ، إلا أن معشوقة اليوم امرأة وافية الأنوثة وليس بصبية غريبة : امرأة تكبره بنحو سبع سنوات وتعرف من شؤن الدنيا وخفايا قلب الرجل وقلب المرأة ما ليست تعرفه فتاة ويندر أن تعرفه امرأة ، لأنها جمعت إلى خبرة السن خبرة البلاط حيث كانت احدى الخواتين وكان زوجها أمين القصر الأميري ، وجمعت إلى



صورة البارونة فون شتين يدها

الخبرتين معاً خبرة الفهم والفن والاطلاع ، فكانت موسيقية مصورة تغني وتقرأ الشعر وتحوض في المعارف العامة، وقد تشوّق كلّا هما إلى الآخر قبل أن يراه فسمعت هي بجيتي وحسنه ورأي هو صورتها وأعجب برشاقتها ، فلما تلقيا كانا على أهبة للحب فتحابا . وطالت صلة الحب بينهما عشر سنوات يراها وتراه ويكتب إليها وتكتب إليه ، وتدافعه تارة وتجاذبه تارة أخرى ، وهي في جميع ذلك تتهدّه ييد صناع فلا يشبع ولا يمل ، فإذا آمنت منه الملالة فسرعان ما تعينه إليها بالعلوّة كيسة وحيلة مطمعة ميئسة . وفي أحدى قصائده إليها يقول لها : « أنت تعرفي كل حركة في ضميري وتلمحين كل هزة في وشائجني وعروقي ، و تستطعين بفرد نظرة منك أن تقرأيني أنا الذي طالما تعبت عيون بنى الفناه في النفاد إلى سريري . أنت تسکین السکينة في دمي الفائز و تقومين خطای الشاردة الهوجاء »

وجيتي يعني ما يقول ، ففي هذا الخطاب بيان لسر هذا العشق الذي قام على تفاهم الفكرتين و تقارب النفسين ، وما كان جيتي

المخدوع في ذكائها فقد شهد صديقه شيلر بفضلها وعذرها في  
اعجابه بها، وما كانت على عيني شيلر غشاوة الحب التي تحجب  
الحقيقة عن المحبين

وقد لبثا على غرام يحتمد يوماً ويسكن يوماً حتى نيفت  
المعشوقة على الأربعين ووقع جيتي في شباك غرام جديد،  
فتغاضباً وتعاتباً وأراد منها أن تكون الصديقة فأبانت إلا أن تكون  
العشيقه ! فانابت ما بينهما برهة ثم تراجعا إلى الود ورضيا  
بالولاء الدائم بعد الغرام الزائل. وعاشت إلى الرابعة والثمانين  
فهناكه آخر تهنئة لها بعيد ميلاده ، فرد عليها بأبيات متکلفة هي  
جهد ما استطاع من أحياه لماضي الغرام الدفين

تلك هي البارونة فون شتين الألمانية التي تنتهي من ناحية  
الأم إلى أسرة ايفوسية . وهي أذكي وأقدر صواحبه الكثيرات ،  
وهي التي شاطرته كارأيت حياة الفكر والقلب والخيال ، ونعم  
في ظلها بسکينة كان في حاجة إليها ، وأنس إلى قربها أنس الخنان  
والولاء

te finis que mea eterna y tu otra place)  
 das p. b. (Pone) que i se tiene tanto, sacagueas y sacas  
 (quiero de hoy, de mon) amar tambi en tu dona mister  
 pones mas que persona, (quiero de) que te veula.  
 Carij, och vien schon, os kres flöne,  
 Lovet die Welt nur offen, legal gegangen,  
 Beswungen) nicht willst widermachen, sie über  
 Die mein fäschig, an deine angukangas  
 Day ich an dir, your erot mich wemmer hund  
 (Mein Rieblond Fräulein) Hellen und Blütegegen  
 Alles was Dich und Deinen Mann Deinen  
 Mein Leben, nur an Deinen Schön hängt.

6. 22. Düsseldorf 1984.

J.

جزء من خطاب فرنسي الى البارونة فون شتنين بخط جبق وفي ذيله أبيات بالألانين



## فرتز ابن البارونه فون شتینن کا صورہ جیتی

\*\*\*

اما « بنتينا بررتانو » فهى من سلالة إيطالية من ناحية أبيها . وهى أهم عندنا مما كانت عند جيتي . فقد حفظت في كتابها أحاديث له ولأمه لاغنية عنها في شرح ترجمته ، وربما كان الأصح أنها هي عشقت جيتي ولم يكن لها بعاشق : عشقته

وهو في الثامنة والخمسين وهي في مقتبل الشباب  
وكان هو يعرف أمها مكميليان ويعيش بمعاشرتها في فرنكفورت  
بعد اخفاقه في حب شارلوت ، فلما زارتة « بتينا » في فيرار أزعجه  
بحماسها ورعاتها وف्रط غيرتها في غير موجب . فقد كانت



بتينا بر تانو

طفلة في مزاجها والاعيابها ولنست هي بطفولة في سنها ، وأهل أسرتها كلهم مشهورون بهذه الخفة على شهرتهم بالفطنة واللودعية ! ولم يكن اثقل على جيتي من الرعونة و « الشيطنة » الصيانية ولا سيما بعد أن جاوز الشباب وأوشك أن يجاوز الكهولة إلى الشيخوخة . فما هو إلا أن علم أنها شتمت زوجه على أثر خلاف بينهما في معرض الصور حتى اغتنم الفرصة وأبى عليها أن تدخل بيته بعدها . فراحت ترجو و تتسل وهو على أعراضه مصر وبجفائه معتصم ، ولو لا كتاباتها عن جيتي لصح أن نغفل ذكرها في هذه الكلمة السريعة

\* \* \*

قال جيتي في احدى أغانيه : « ذهبت إلى الغاب لا أدري فيم ذهبت ، وما كنت أريد شيئاً ولا عنانى أن أريد . فانى لأرسل النظر في ظلامها إذا زهرة هنالك وضيئه كأنها بجم ملية كأنها عين ، همت أن أقطفها فسمعتها تقول في لطف ورخامة : أقاطفي أنت لاذوى في يديك بعد هنية ؟ فخوت عليها

ورفعتها من جذورها ونقلتها إلى حديقة تصاوب المنزل البهيج .  
وينالك غرستها من جديد في مكان فريد ، قدر عرعت ولم يفارقها  
الرواء »

هذه الزهرة التي تعنى بها جيتي هي الفتاة « كريستيان قلبيوس »  
التي انتهت علاقته بها إلى زواج وعشرة رضية ، وليس  
الأغنية كلها شعراً وخيالاً لأنَّه في الحقيقة لقى الفتاة أول لقاء  
في حديقة فيمار المشهورة ، ومن هناك قطفها ونقلها إلى المكان  
المصاوب للمنزل البهيج !

وكانت في الثالثة والعشرين وهو في التاسعة والثلاثين حين  
سيقت إلى طريقه ، أو حين تعمدت أن تلقاه لترفع إليه عريضة  
لأخيها القصصي الناشيء يلتمس فيها عملاً يرتزق منه ، فراعته  
الفتاة ورعاها ، واحتسبت بينهما المودة ، ثم نقلها هى وأمها إلى منزله  
بعد ما ولدت له أكبر ابنته الذي سماه أوغست على اسم الأمير .  
ولكنه لم يكتب كتاب زواجه بها إلا بعد ثمانى عشرة سنة من  
لقاءها . إذ أغار الفرنسيون على بلاده فأشفق أن يموت أو تموت  
على غير وثيقة مشروعة



كريستينا فليوس زوجة الشاعر

و كانت كريستيان على قسط و افر من الصياغة كأنها « رب الخنز في صباحه » كما وصفتها أم شوبنهاور الفيلسوف . وكانت على هياكلها بالسرور وامتلأها بنسمة الصبا خير من يسوس البيت ويعين الزوج في عمله ولو كان من قبل عمل جيتي في العلم والأدب . فقد كان يعنيها العطف عن الفهم حين تعضل عليها مسائله وأفكاره ، إلا أنها لم تكن من الجهل بحيث صورتها « بتينا » والبارونة فون شترين عن حسد وغيره . فان قصائد جيتي التي خاطبها بها شواهد على حظ من الثقاقة والفتنة غير يسير ، ويقول الثقة في اللغة الألمانية ان قصائد الفصول الأربع الرسائل الرومانية وما شاكلها من الأشعار التينظمها في ظل هذه العاطفة تفيض بحلوة الأسلوب ورقة الصدق والغبطه ، وكلام جيتي يدل على الحب أوضح دلالة . فقد كتب من ايطاليا الى صديقه هردر يقول له وما هو بالمسرف في وصف عواطفه : « ان الذين خلقتهم بعدى لا اعزاء جدا على . ولا أكتنك انتي شغف بالفتاة أيما شغف . وما علمنت مبلغ نياطى بها الا يوم بعده

عنها» . وقال في أبيات : « اطالما ضللت السبيل ورجعت الى سوائيه . ولكتنى ما شعرت قط بمثل هذه السعادة . فسعادتى كلها رهينة بهذه الفتاة . فان كانت هذه ضلاله أخرى فناشتوك أيتها الارباب إلا ما اعفيتني من ألم العلم بها . فلا أطلع عليها قبل يوم الحمام »

وامتزجت الفتاة بقريحته فأثبته في روايته الكبيرة « ولهلم ميستر » باسم تريزا . وفاض بالقصائد الغنائية والخواطر العذبة ، ولوحظ ان أيامه معها كانت كأخصب أوقاته وأسخاها بالشعر والبحث في جميع أطوار حياته ، وليس ذلك لأنها كانت تشاركه في نظراته الرفيعة وتساجله في مرآميه البعيدة ، بل لأنها اراحته وأهنت قلبه وصقلت حواشى عيشه فأقبل على النظم والبحث بنفس قريرة وقرحة طليقة ، وحسبه . ذلك من عشيرة ملازمة ايما كان مرتقاها من التهذيب والثقافة

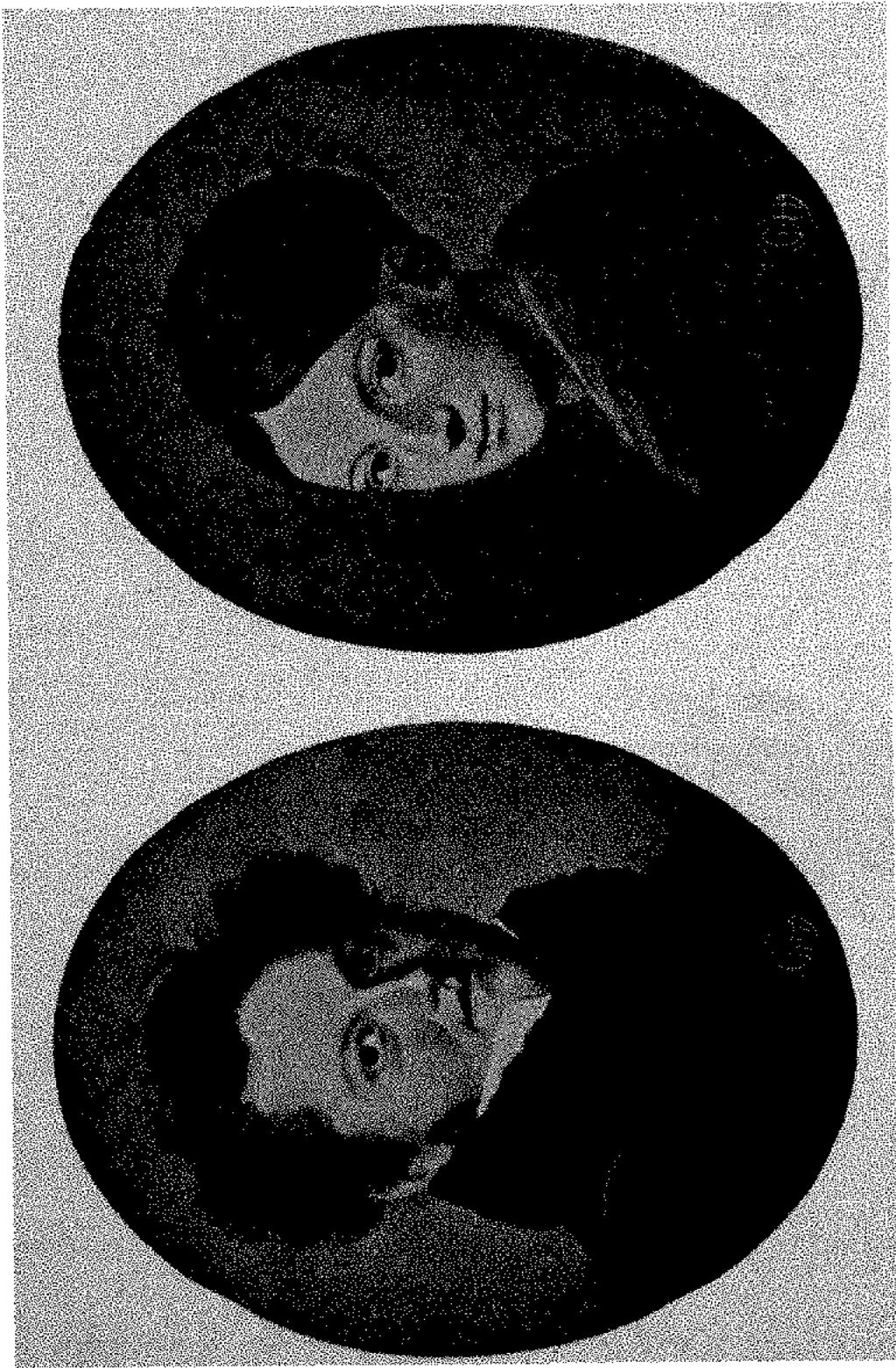
الا أن الناس قد نقموا منه أنه أسكنها بيته وان لم ينقموا منه أنه اتصل بها . وربما كانت نقمتهم هذه لأنهم يدارون المداراة ويكرهون المسائل المكشوقة ، أو لأن الفتاة كانت

من طبقة وضيعة لم تكن من طبقته ولا على غراره . اذ كانت عاملة في مصنع للأزهار الورقية وكان أبوها موظفا صغيرا اشتهر بادمان الحنجر ثالثة الحالة . والافما كانت الأخلاق يومئذ تتحرج عن هذه الإباحة ، وما عرف الناس عهدا بلغت فيه الثورة على العرف ما بلغته ابان الثورة الفرنسية في الأقطار الأوروبية . ومع هذا تسمح معه أصدقاؤه المقربون ولم يهجروا بيته ولا أوصدوا بيوتهم في وجه امرأته ، وكان الأمير في مقدمتهم فقبل أن يشرف على تعميد ولدتها ووليد صديقه وكان «جيتي» لا يذكرهالأمه حتى لغ عمر الولد الصغير ستين ، فلما ذكرها لها في رسائله فرحت الجدة بحفيدها وطفقت تغدق عليه الهدايا واللعب ولا تمل السؤال عنه والحدب عليه . وما كان لها أن تفعل غير ذلك وهو حفيدها وسليل البقية الباقيه من ذريتها . فقدمات جميع أبنائها أطفالا وماتت بنتها «كورنيليا» التي جاوزت الطفولة في عنفوان شبابها ، ولم ييق الا ولدها جيتي وهو لم يتزوج . فهى خليقة أن تنسى كل شيء وتعطف على ولده وزوجه حيثما كان له ولد وزوج . وقد تزايد تعلقها

بالفتاة بعد ما علمت من لفتها على زوجها وسهرها على تمريره  
والترفيه عنه في المرض الخطير الذي أصابه في الثانية والخمسين ،  
وأيقنت من شدة أخلاصها له بعد ما علمت أنها حمته بنفسها  
من عدوان الجند الفرنسيين السكارى الذين هجموا على بيته  
وهموا أن يبطشوا به

وقد يعوزنا هنا أن تتابع مصير هذه الذرية كلها إلى ختام حياة  
الشاعر . فنقول انه رزق خمسة أبناء ماتوا في طفولتهم الباكرة  
الا أكبرهم أوغست فقد نيف على الأربعين ومات في إيطاليا  
في أخريات أيام أبيه ، فتجرع الشيخ هذه الغصة وصبر  
عليها جده ، وانصرف إلى احفاده الثلاثة يعلمهم  
ويداعهم ويتأسى بملاحظتهم ، وفيهم يقول وهو يشاهدتهم  
يتحدثون وينشدون الأشعار ويمثلون : « انهم ليشبهون  
الشعراء الحق جد الشبه ! فيینما أحدهم غارق في حماسة اذا  
بالآخر يشاءب ! فإذا جاء دوره في الحماسة راح الآخر  
يصفرا » ولو أنصف لقال انهم يشبهون جدهم قبل غيره من

أوتيل زوجة أوغست  
أوغست بن جيتي



الشعراء..!

أما كريستيان فقد ماتت وهي في الحادية والخمسين وهو في السابعة والستين . ولا يذكر العارفون بالرجل أنه حزن لفقد انسان قط حزنه لفقدتها ولا جزع في موقف قط جزعه على سرير موتها . فقد تخاذل جلده الذى قلبها خانه في الشدائيد فجثا على ركبتيه وتناول يدها الباردة وهو يصيح بها : « انك لا تريدين أن تركيني ! كلا ! كلا ! انك لن تركيني » ... ورأته زوج صاحبه كنيل بعد سنوات أربع فقالت إنه لا يتعزى

\* \* \*

لقد كان في مسلك جيتي مع كريستيان مروءة وكان فيه خطأ ، فمن المروءة أنه آواها إلى بيته واحتمل في سبيلها غضب قومه . ومن الخطأ أنه أخر عقد زواجه بها حتى شب ابنه وهو يعلمحقيقة العلاقة بين أبيه وأمه . فأثر ذلك في أدبه وخلقه . وأكبر من ذلك خطأ أنه تعجل في علاقته بالفتاة ولم ينظر إلى أصلها . ولسنا نعني فقرها ورثاثة حالتها في الفقرات من هن أشرف وأكرم من الغنييات ، ولكنها عنينا وراشتها عن أخلاقه والدها وسوء أثرها

في ولدها . فقد ورثت المسكينة عادة الادمان وأورثتها الولد الوحيد الذي عاش لها ، وكان أشبه بها حتى في ملائم وجهه كما يُرى من المقابلة بين صورته وصورتها ، فلما مات تبيّنت الصخامة المفرطة في حجم كبده لادمانه السكر وما إليه ، وكانت هذه الآفة من أسباب الجنائية على شبابه

\*\*\*

قال أميل لدفع في ترجمته لجيتى : ( ان جيتي لم يكن قط بالمغوی الجميل أو الظافر الفخور بعزوّاته أو « بالدون جوان » المشهور في حلبات الغرام ، وإنما كان المتسلل أبداً والمولى الشكر والعرفان أبداً ، وأكثر ما كان السائل المردود لا السائل المقبول . وإنما نقترب من فهم الأساطير الذائعة عن عواطفه وتركيب أعماله وقصة روحه كلها عرفنا فيه الرجل المسلم المنقاد وعرفنا فيه ارادة الحب التي لا تروى ولا تزال تروض نفسها حتى تنهى بالخصوص لحقائق الوجود )

ولاحظ أميل لدفع في موضع آخر أنه ما دخل قط في حومة حب الا اعتصم منها آخر الأمر بالهرب ، وكلتا الملاحظتين

صادقة نفاذة الى حقيقة الرجل ، فها نحن أولاء نرى **كيف**  
 اتهت علاقاته بخمس نساء على نماذج مختلفات ، فأربع منها آلت  
 علاقاته بهن الى التراجع والنكوص ، ولم تكن العلاقة الخامسة  
 مما يحتمل تراجعاً ونكوصاً فلذلك بقي متصلة بها أو موصولاً  
 اليها ، وكان بقاوئه هنا - كما كان نكوصه هناك - خضوعاً لحكم  
 الضرورة أو لما سماه لدفع « بحقائق الوجود » . ولليست هذه  
 العلاقات الخمس الامثل للعلاقات أخرى لم نعرض لها في هذه الكلمة  
 وحيثي مع هذا لم يكن دميها ولا زرياؤلا كانت تنقصه وجاهة  
 المحضر والمنصب ولا وجاهة الأمل في المستقبل . فقيم هذا  
 الوقع الدائم في أسر المرأة وهذا المآل الدائم الى النكوص  
 عنها ؟ نحسب أن في الأمر شيئاً من الثقة بالنفس في بعض  
 صورها الغريبة ، فالرجل كان على علم بقدره ورجحانه على  
 مزاجيه ، فكان لهذا لا يبالي أن يتراجع ولا يشعر بغضاضة  
 الخاسر المدحور الذي يعلق قيمته كلها على نجاحه في هذا الميدان .  
 أو اخفاقه فيه ، فإذا فاز جيئ في الميدان أو أخفق فليس قصب  
 السبق بالمشكوك فيه ، لأنه في يديه ! فلا جرم يتراجع وهو في

## صورة الفائز القانع من الغنية بالآيات

ونحسب أن في الأمر سرا آخر يرجع إلى طبيعة الحب الذي كان يحبه والنظرة التي كان ينظرها . فلم يخلق جيتي لحب النزوات ولا لحب الاقتحام ولا لحب الأغواء . وإنما خلق لحب الفنان المتذوق المستططلع المتأمل ، فليس الفرق بين حبه المرأة وحبه المثال الجميل لأن المرأة تجمع من « الفن ووسائل الاستطلاع » ما ليس يجمعه المثال الجميل ، فهي صورة وشعور وعاطفة وارادة . وأين له بالمثال الذي يتذوق معه كل هذه المعانى متفرقات ومجتمعات ؟ فالاحتواء الكامل مطلب فوق الرغبة وفوق الطاقة . لأن الفنان المتذوق قد ينعم بالمثال فيغنيه نعيمه به وإن لم يحمله إلى بيته ، بل قد ينعم به فوق نعيم مالكه الذي يقتنيه ويحتويه وزد على ذلك طبيعة التسلیم التي تكره الهجوم و تؤثر مشقة الاحتمال على مشقة النضال ، فهي طبيعة « الدب » المسلم المظلوم في حساباته من السبع لا حين يغضب وثور . وحيثند قد تعصب الهرة الوديعة وقد يغضب الكلب الأليف كتب جيتي في شبابه إلى سلزمان يقول : « غرست في

طفولتى شجرة كرز وجعلت أرقب نموها وأنا مغبط مسرور .  
فلما أزهرت جاء ضباب الرياح فصوّح الأزهار ، ثم انتظرت  
سنة أخرى حتى أينعت بقامات الطير فأكلت الثمر ، ثم انتظرت  
سنة بعدها الدود فالجبار الطامع فالآفات . وسأغرس شجرة أخرى  
كما وجدت لي حديقة !

ذلك دأب جيتي في جميع حياته لافي الطفولة وحدها ، وفي  
كل حديقة لا في حديقة النبات وحدها . وغير مستثنى من  
ذلك حديقة الحب ولا حديقة الفن ولا حديقة التأليف ! فإذا  
اقتضاه الأمر صبرا وانتظارا فهو صابر متضرر ! وإذا اقتضاه  
الأمر دفعا ونضالا فما هو بدافع ولا مناضل

---

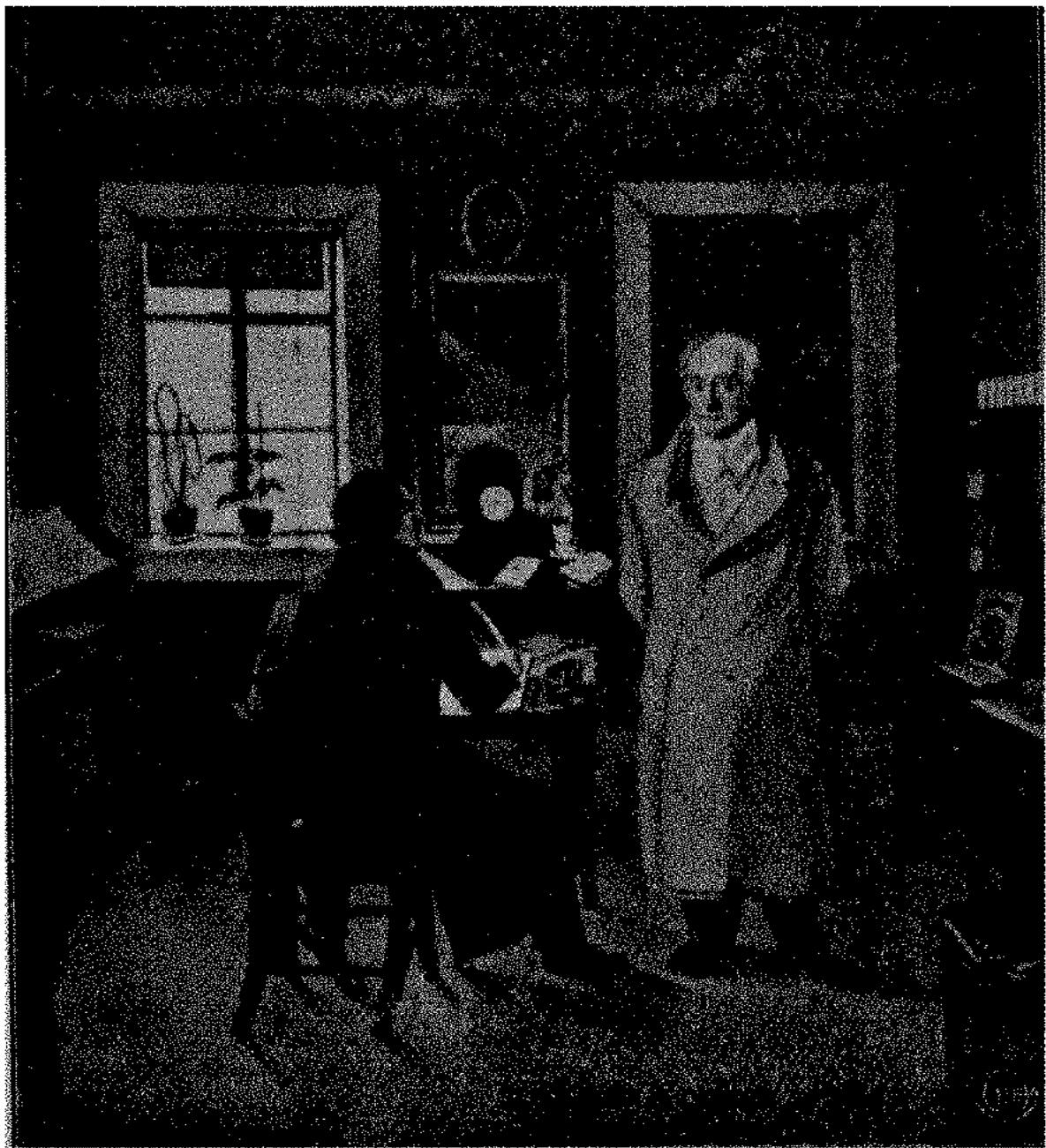
## مؤلفات جيتي

يقسم الاستاذ تيو فيل جو تيه سيرة جيتي من حيث التأليف إلى أربعة أقسام

«الأول» ينتهي سنة ١٧٧٥ وهو دور التكوين . وأهم ما كتب فيه رواية «جوتز» التمثيلية وقصة «فتر». وكلتاها مشبعة بروح المدرسة الرومانية الجديدة التي اصطلخنا على تسميتها «المجازية الجديدة» أو الزوبعية . وفي هذا الدور أيضاً أعد جيتي الأجزاء الجوهرية من رواية فوست الأولى

«والدور الثاني» ينتهي سنة ١٧٩٤ وهو دور المدرسة القديمة أو اليونانية ، وفيه خلاص جيتي من هيمنة المدرسة المجازية واقتفي أثر الإغريق . وأهم ما كتب في هذا الدور معظم قصائده الغنائية وروایات «افيجيني» و «تاسو» و «اجمونت» التمثيلية ورحلته إلى إيطاليا وحكاية الثعلب ، وأغانى ومقاطعات

«والدور الثالث» ينتهي سنة ١٨٠٥ وهو دور الصداقة مع شيلر ، وفيه يظهر روح شيلر الفلسفى وعنايته بالتعليم والنظر والمثل



جیتی یعنی علی کاتہ

العليا والرمز الى الخفايا خلافا لجني الذي كان يعني بالحوادث الخاصة والصور المحسوسة والمشاهدات الحاضرة من الوجهة العملية ، وأهم ما كتب في هذا الدور من القصص «صبي الساحر» و «الله والراقصة» و «طالب الكنوز» و «تلمندة و Helm ميستر» ورواية «هرمان ودوروثي» التئيلية  
 «والدور الرابع» ينتهي سنة ١٨٣٢ ، وهو دور الشيخوخة أو الدور الذي بدأ بموت شيلر وانتهى بموت جيتي ، وفيه اشتغل جيتي بالباحثات العلمية وكاد ينصرف عن الادب . وأهم ما كتب في هذا الدور قصه القراءات المختارة » وترجمة حياته التي سماها «الشعر الحقيقية» و «الديوان الشرقي» ورحلات وظلم ميستر وتنمية فوست ، وهى التي غلبت فيها نزعة الرموز والألغاز على نزعة الوضوح والمشاهدة الحاضرة

\*\*\*

وهذا أصح تقسيم وأجزء لسيرة جيتي الكتائية ، إلا أنه لا يخلو من عيوب التقسيمات الخامسة التي لا تظهر في شيء كما تظهر في فصل أدوار الحياة والتفكير ، ولا سيما تفكير جيتي دون سائر المفكرين

ووجه التخصيص في جيتي أنه كان عبقياً متعدد الجوانب والمشاركات فلا تحصر أدوار نموه وتقده في طريق واحدة، وأنه كان رجلاً معنياً بما بين يديه في ساعته الحاضرة، فنظرته إلى شيء في هذه الساعة قد تختلف عن نظرته إليه في الساعة التي تليها: حسب الطوارئ، أو حسب الشعور الراهن الموقت خذ مثلاً لذلك انتهاءه إلى المدرسة «المجازية الجديدة» الذي كثرت حوله المناقشات والأراء. وهذه المدرسة المجازية الجديدة تدور على السيطرة الفرنسية ولا سيما في التمثيل وشرط التزام «الوحدة في العمل والمكان والزمان» الذي كان النقاد الفرنسيون يشترطونه في الرواية التمثيلية، وبهذه المدرسة تعجب بشكبير لسيين: أحد هما خروجه على ذلك الشرط، والثاني رجوعه إلى أصل جرماني. في دعوه بهذه المدرسة شيء من الثورة الوطنية من هذه الناحية وكان دعاؤه المدرسة المجازية ينوبون إلى قصص القديسين وأثرات الكنيسة الكاثوليكية ونواذر الأبطال في القرون الوسطى لاستلهام الخيال واحتياج الموضوعات، وربما اقتبسوا من أخبار الشرق وأثاراته لأنهم يطلبون الخيالي البسيد ولا يستريحون إلى الواقع المشهود، وتلك في لبابها روح

دينية موكلة بالمسائل الخفية مطبوعة على النظرة الغيبية : تأخذ من مؤاثرات الكنيسة الكاثوليكية لأنها تشمل خاتمة الدين وتاريخ المراسم والشعائر . وتأخذ من الشرق لأنه ينبع الأسرار والتاريخ القصصية والشعوب التي يلفها بعد في ثياب كثياب الكهانة وظلمات الغيب

فالمدرسة المجازية الجديدة في لبابها إن هي إلا مدرسة وطن ودين ، فكيف كان انتهاء جيتي اليها في مؤلفاته الأولى والأخيرة ؟ انه كتب رواية « جوتز » ذي اليد الجديدة وهو أحد الأبطال الالمان المشهورين في القرن السادس عشر . وقد خرج جيتي في هذه الرواية على شرط الوحدة في العمل والزمان والمكان خروجا لا يقاس اليه خروج شكسبير . فهو في اختيار الموضوع وفي أسلوب تناوله على رضا المدرسة المجازية من هذين الوجهين فهل معنى ذلك أنه لم يتأثر بالأداب الفرنسية ولم يستمد منها ؟ كلا ! لأنه ألف قصة « فرتر » في هذه الفترة وعليها مسحة واضحة من « هلواز الجديدة » والعود إلى الطبيعة الذي كان يبشر به روسو وكتاب الثورة الفرنسية . فهل معنى ذلك أنه لم يتأثر بأدب الاغريق ولم يستمد منه ؟

كلا ! لأن قصة فرتر نفسها في بساطتها وصفاتها تشبه الآثار  
 الاغريقية ولا تمت باصرة قريبة إلى المدرسة المجازية  
 ثم ان جيتي كان لوثر يا في مذهب شوكوكيا في عقيدته خمسة  
 للكنيسة الكاثوليكية تناقض غير معقول ، فهل معنى ذلك أنه  
 ينافق المجازيين في كل شيء أو في كل طور من أطواره ؟ كلا ! فان  
 اللغاز والأسرار تردد في الجزء الثاني من فوست وهو الجزء  
 الذي كتبه في دوره الآخر ، وتردد كذلك في رواية «ولهم ميستر»  
 ومعظمها من آثار أيامه الوسطى  
 وقد نظم جيتي ديوانه الشرقي في أيامه الأخيرة ، وقدرأينا  
 أن المجازين كانوا يحبون الموضوعات الشرقية ، فهل معنى ذلك  
 أن الشاعر آمن في شيخوخته بالمدرسة المجازية التي استهواه  
 أول شبابه

كلا ! فما تناول جيتي موضوعات الشرق إلا كما يتناولها  
 طالب الحس لا طالب الأسرار . فهو بالاغريق هنا أشبه منه  
 بالمجازيين ، وكل ما في الديوان من التصوف الذي يحكى به السعدي  
 وحافظا وأمثالها لا يخرج به عن هذا النطاق

وقد امتلأ الجزء الثاني من فوست بأساطير الأغريق ومناظر الأغريق ، فهل معنى ذلك أنه خلو من خفايا المجازيين وما ثورات الدين ؟

كلا ! فربما كان هذا الجزء أدخل في أساليب المدرسة المجازية من أى كتاب كتبه جيتي في أبان الشباب وقس على ذلك كل ما يقال عن آثار جيتي ومؤثراته وأطواره وأقسام حياته

ولعله قطع بالقول الفصل في هذا الباب حين قال عن مأخذته ومصادر أدبه يرد على من يتهمونه بالسرقة والاقتباس : « هذا مضحك ! فعلى هذا النحو يجوز لنا أن نسأل الرجل القوى عن الثيران والغنم والخنازير التي أكلها فأعطيته القوة ! وصحيح أننا نولد وفيينا كفاءاتنا ولકتنا مدينون في تكويننا لألف المؤثرات التي تحتويها هذه الدنيا الواسعة التي نأخذ منها ما يوائتنا ويدخل في قدرتنا ، وإنني لمدين بالكثير للأغريق والقرنديين ومدين بمالاحد له لشكسبير وسترن وجولد سميث . ولكنني إذا قلت هذا فليس معناه أنتي أكشف للناس عن ينابيع ثقافتي ، إذ هذا عمل لا آخر له ولا طائل تحته . وكفى المرء أن يكون

## ذانفس تحب الحق وتقبسه حيثما كان »

والنقاد يخطئون في تقدير المشاهد التي رآها جيتي وأثرت في تأليفه كما يخطئون في تقدير المصادر التي رجع إليها واقتبس منها : مثال ذلك رحلته إلى إيطاليا اللتان زعم النقاد مازعموا عن أثرهما في مؤلفاته . فلا خلاف في أن آثار إيطاليا وبلاد اليونان قد زادته علما بالفن القديم وفن النهضة وغيرت نظرته إلى أدب الشمال وأدب الجنوب . ولكن هل معنى ذلك أن زيارة تلك البلاد أفادته في اتساعه الذهني تلك الفوائد التي يزعمونها ؟ كلاماً لعلها بليلت أفكاره وشغلته بالبحث عن القواعد والنظريات فكلفته التوفيق زمناً بين آرائه وأعماله ، ولم تكن هذه الزيارة لازمة لانشاء قصائده أو أشجانه الرومانية التي اشتهرت بين أشعاره الغنائية ، فقد كان في وسعه أن ينظمها وهو في داره على مقربة من زوجه التي أوحى إليه معظم معانيها ، فلو لا نفحات عارضة لما أتجه الرحلتان معاً غير التفكير والمقارنة ، ولو لا تسديد شيلر إياه وتوجيهه إلى العمل بعد ذلك لطال بقاوه في تلك المتأهة فصفوة القول فيه أنه كان صاحب عبقرية يقضى تتلقى كل ما يصادفها ولا يعنيها ما تلقاه إلا أثر تمس الحقيقة المباشرة

وتسمى الحياة الجميلة . واقتصره على لمس الحقيقة المباشرة بغير الفاف ولا مراسم . وعلى تحمي الحياة الجميلة بغير خوف ولا تعسف — هو هو الروح الاغريقى الذى لزمه طول حياته فى جميع مؤلفاته . فحتى مقاربته للألغاز الدينية ومختلفات القرون الوسطى انماهى مقاربة الاغريقى القديم لو عاد الى الحياة ينظر فى القرن الثامن عشر الى بقايا تلك الألغاز والمخلفات . ولكن ينبغي أن نذكر ولا ننسى أبداً أن جيتي لا يكون جيتي حقاً إلا فى عالم الفن الاغريقي دون الفلسفة الاغريقية . فإذا دخل عالم الفلسفة فربما تركها تعمق فيه لتبرز في ثوب الفن والجمال ، أما هو فلا يتعمق فيها بحال ولا يرضى جهد التعمق فى أى مجال

\* \* \*

وهناك سمة أخرى تتصف بها مؤلفات جيتي جميئها وترتبط بهذه السمة التي أشرنا إليها ، وتلك هي التفكك وقلة الماسك ، فكتبه كلها ماكبير منها وما صغر وما تم وما لم يتم سواء في هذه السمة

وكثيراً ما اجتمع الكتاب الواحد من مقطوعات متفرقة

كُتِبَتْ فِي أَوْقَاتٍ مُتَبَاعَةٍ وَاتَّسَقَتْ فِي آخِرِ الْأَمْرِ عَلَى غَيْرِ نُسُقٍ  
 وَإِذَا كَانَ الْكِتَابُ رِوَايَةً فَأَنْتَ تَرَى فِيهَا أَشْخَاصًا لَا يَخْلُلُ  
 فِي رِسْمِهِمْ وَتَمْثِيلِهِمْ وَلَكِنْكَ لَنْ تَرَى فِيهَا حَوَادِثَ مُتَلَاحِقَةَ  
 وَلَا فَصُولًا مُتَنَاسِقَةَ . وَيَغْلُبُ عَلَى أَشْخَاصِ رِوَايَاتِهِ أَنْ يَكُونُوا  
 رِجَالًا أَوْ نِسَاءً عَرَفُوهُمْ وَعَاهَرُوهُمْ وَنَقْلُوهُمْ مِنَ الْحَيَاةِ إِلَى الرِّوَايَةِ  
 بِتَصْرِيفٍ قَلِيلٍ أَوْ بِغَيْرِ تَصْرِيفٍ ، فَعَمَلُهُ فِي تَكْوِينِهِمْ عَمَلُ التَّذْوِيقِ  
 وَصَدْقَ الْمُلاَحَظَةِ لَا عَمَلِ الْأَنْشَاءِ وَالْأَخْتَرَاعِ ، فَكُلُّ شَخْصٍ  
 فِي رِوَايَاتِهِ نَمُوذِجٌ مَعْهُودٌ فِي الدِّينِ الْيَالِمِنْ يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهِ

وَسَبِبَ هَذَا التَّفْكِكُ فِي كِتَابِ جِيَتِي يِرْتَبِطُ كَمَا قُلْنَا بِتَلْكَ  
 الطَّبِيعَةِ الَّتِي وَقَفَتْ هُمْهُ عَلَى لَمْسِ الْحَقِيقَةِ الْمُبَاشِرَةِ وَتَمَلَّى الْحَيَاةِ  
 الْجَمِيلَةِ فِي إِيَانَهَا ، أَوْ تَلَكَ الطَّبِيعَةِ الَّتِي جَعَلَتْهُ يَأْخُذُ الدِّينِ شَيْئًا شَيْئًا  
 وَالزَّمْنَ سَاعَةً سَاعَةً وَيَسْتَمْتَعُ بِمَا بَيْنِ يَدِيهِ وَيَدْعُ كُلَّ مَطْلُوبِ الْ  
 أَوَانِهِ حَتَّى يَجْعَلَهُ أَوَانَهُ . فَهُوَ عَلَى ثَقَةِ مِنْ قَطْافِ السَّاعَةِ وَامْتَلَأَ كُلَّ  
 جَزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ الزَّمْنِ بِشَمْرَتِهِ وَحَصَادِهِ . وَهُوَ لَا يَنْصَبُ بِلْجُمُعِ  
 الْحَقَائِقِ وَالْمَحَاسِنِ بِلْ تَجْتَمِعُ عَنْهُ الْحَقَائِقُ وَالْمَحَاسِنُ فَلَا يَتَكَلَّفُ  
 لِلقطْبِهَا إِلَّا أَنْ يَفْتَحَ لَهَا وَطَابِهِ ، وَقَدْ قِيلَ فِي أَضَاحِيِكَ السَّكَارِيِّ

أن سكران منهم نام في موضعه على الأرض وأدى أن يسعى إلى بيته لأن بيته سيسعى إليه لاحالة في هذه الأرض الدائرة ! فإذا جازت المقارنة بخيّي كذلك يجلس في ساعته الحاضرة ولا يتعداها إلى غيرها انتظاراً لغيرها هذا أن يدور إليه في هذا الزمن الدائري . ولكنه يفعل ذلك لف्रط الوعي واليقظة لا لف्रط السكر والغفلة ، وذلك أن تسميه كسلاً كما تشاء ، ولكنه كسل الشبع والطمأنينة لا كسل الفاقة والاعياء

\* \* \*

ومؤلفات جيتي عديدة لا يتسع المجلد الكبير للكتابة عليها كلها فضلاً عن الرسالة الصغيرة ، فلا محل هنا لتفصيل نقدها واستيفاء البحث فيها . وإنما نجتزيء بأشهرها وأدتها عليه وأقربهالينا حن الشرقيين ، وما قصدنا التعريف بممؤلفاته كما قصدنا التعريف بفنه ونفسه . فإذا أبلغنا في هذا القصد في ذلك كفاية

## آدم فرتر

يُنْمِي جيتي على نفسه في أولى الرسائل التي كتبها فرتر . فان فرتر الذي يقول لنا في تلك الرسالة « ماالإنسان ؟ وكيف يحرؤ على مؤاخذة نفسه ؟ » ثم يقول لها « أريد أن أنعم بالحاضر وليلذهب الماضي حيث ذهب » إنما هو جيتي بعينه الذي لايرى الإنسان الا ألعوبة في يد القدر ولا يطلب من الحياة الا ما تعطيه حين تعطيه . وكلما تقدمنا في القراءة سطراً عرفاً جيتي من وراء فرتر وعرفنا أنه هو الذي يتسلل عن المصائب والآلام بقراءة الشعر الا غربي القديم . فكل مصيبة استطاع أن يجعلها « إلى شعور فني » فهو مصيبة ذاهبة ومحنة مقبولة ، وقصة فرتر كلها ان هي الا لوعة أحالها الى « شعور فني » فاطمأن واستراح لستا نعني بهذا أن أشخاص القصة هم أشخاص الحياة في كل صفة وكل واقعة ؛ فمن البداية أن فرتر غير جيتي في شيء واحد على الأقل وهو أن فرتر اتحر وجيتي لم يستحر ولا فكر في الاتسحار قط تفكير الجد والعزمية ! نعم انه كان يحادث

«شارلوت» وخطيبها في البقاء والخلود ليلة الوداع التي فارقهم بعدها ، ونعم انه حدثنا في ترجمة حياته عن الخنجر الذي كان يصوبه إلى صدره ليلة بعد ليلة ليرى هل يسعه أو لا يسعه أن يدفعه قيراطين اثنين إلى قلبه كما قال! ولكنك تقرأ هذا الحديث في ترجمته فتعرف على الفور أنها تجربة فنية أخرى لا أكثر ولا أقل ، وإنه كان يفعل ذلك وكل ما في ذهنه مثال العاهل العظيم «أوتو» الذي طعن نفسه بالخنجر بعد عشاء بهيج مع صحبه وحاشيته ، فهي تجربة تمثيل ومداعبة تخيل ، ولا يمكن أن تكون غير ذلك إنما أوحى إليه أن يختتم حياة فتر بالاتحار أمران : أحدهما ضرورة النهاية الفاجعة في القصة المحزنة ، والآخر - والأهم - هو اتحار صديقه أورشليم الذي كان معه في «فتزلار» بلدة شارلو特 ، فقد خطر لجيتي أن يكتب القصة على أثر سماعه بالخبر ، ثم أرجأ كتابتها بضعة أشهر حتى تهيأت نفسه للشرع فيها فأتمها على قدرات فيأسا يسع قليلة ، وجاء بطلها من ثم يحكى جيتي في أول السيرة ويحكى أورشليم في ختامها على أن أورشليم لم يتحر للحب وحده وإنما اتحر

للفضيحة وإيصاد أبواب العلية في وجهه وفساد الصلة بينه وبين رئيسه وطول عزلته من جراء ذلك كله واقباله في تلك العزلة على قصص الشقاء ومباحث الموت والانتحار يناجيها ويتعزى بها ولا يناجي أحدا من أصدقائه في علة كمده وحزنه ولا يلتمس العزاء عند أحد . فحزن جيتي عليه لغيبته وانفراده واتخذ بخيunte ختاما لقصته يعرب فيه عن حزنه على صديقه وعلى نفسه

كذلك لم تكن شارلوت على الصورة التي صورها لنا جيتي في هو اها له ورفع الكلفة بينها وبينه ، فقد كانت تألفه وتميل الى مجالسته لطراقة حدثه وتعلق أخوتها الصغار به وفرحهم برؤيته ، ولكنها لم تبلغ في الألفة أن ترفع الكلفة ، ورواية كستنر خططتها في هذا الصدد أولى بالاعتماد وأدنى إلى الحقيقة، فهو يقول لنا في مذكرةه بتاريخ الرابع عشر من شهر أغسطس : « حضر جيتي في المساء وقوبل بغير اكتراث ، وانصرف بعد هنيهة » ويقول في الخامس عشر : « ... أزهاره أهملت ، فتقدر وألقاها وطفق يتكلم بالتوريه » ثم يقول في السادس عشر : « لامت لوت جيتي وقالت له إنه لن يطعم منها في غير الصدقة .

فشحب وجهه واكتأب » . وعلى هذا نوى جيتي الرحيل واجتوى البلدة فرحل ولم يقطع الصلة بينه وبين شارلوت وخطيبها كستر.

بل اقترح عليهما يوماً أن يهدى إليهما خاتم الزواج كذلك يختلف كستر عن البرت خطيب شارلوت في قصة فرتر . فهو خير من البرت وأنبل وأقدر ، وقد ساء كستر أن يصوّره صديقه على صورته في القصة . فعاتبه ، فاعتذر جيتي وعاد إلى الصفح واللقاء

\* \* \*

قلنا ان جيتي كتب قصة فرتر في أساييع قليلة ، ولكنها على قصر الوقت الذي كتبت فيه تضارع أخلاق أعماله وأقوامها والثقة في اللغة الألمانية يقرنونها بأبلغ وأحلى وأنفس ما اشتهر في آداب تلك اللغة . فالي هذا ولا ريب يعزى بعض النجاح الذي أصابته في بلادها . ولكنها لم تنجح في ألمانيا فحسب بل كان نجاحها في فرنسا أكبر وأظاهر ، فكثر في قitiاتها وفتياتها من يلبسون على ذي فرتر وشارلوت ، وقرأ نابليون القصة مرات وحملها معه إلى مصر ، وتجاوزت شهرتها القارة

الأوربية حتى وصلت إلى الصين ونقشت بعض مناظرها على آنية الخزف ، وكان لها نوبة خيف منها على عزائم الشبان أن تسول لهم الاتتحار ، وقيل أنها سولته لبعضهم فاتوا والقصة في جيوبهم . ولقد حرمت حكومة ليزج يبعها وفرضت غرامات على كل من يبيعها ، وثار بها النقاد بقرفوتها وينعون عليها الخور والنعمومة . ولايزال إلى اليوم أناس يذهبون فيها هذا المذهب ويعتقدون فيها هذه العقيدة

على أن جيتي ينكر الأثر السيء الذي زعموه لقصته ويقول انه لم يخلق مرضًا ولم يزد على أن وصف المرض الشائع ، وأن عاقبة فرثأحرى أن تحمل الشبان على اجتنابها لا على الوقوع فيها ونخاله على صدق فيما قال عن المرض الشائع في زمانه .  
فإن أورشليم قد اتحرر قبل كتابة فرثرو انتحاره هو الذي أوحى إلى الشاعر كتابتها ، وقيل ذلك نسبت إلى جيتي اشاعة عن انتحار صاحب آخر - اسمه جوى - من أصحابه في قتلار . والكلام في انتحار اثنين في فترة واحدة من بلدة واحدة ينميان إلى بيئة واحدة خلائق أن يدل بما قال جيتي على أن المرض قديم وليس

بالطاريء الحديث ، فتعبير القصة عن روح العصر هو سر نجاحها  
الأكبر فوق حلاوة اللغة وبلاغة الأسلوب

يقول جيزو عن فتيان عصره : « الفتيان في هذه الأيام  
يشتهون كثيرا ولا يعتزمان الأقليل » وهي كلمة موجزة وصف  
بها جيزو حالة النفوس في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل  
القرن التاسع عشر فلم يعد الصواب ، في عهد اليقظة الذي يسبق  
الثورات ويتخللها يكثر الطموح وتكثر العقبات ويقوى الشك  
ويضعف اليقين وتهون الحياة ، وتلك هي الحالة التي رانت في  
عهد جيتي وما بعده على بلاد الحضارة الأوربية لاعلى البلاد  
الإلمانية وحدها ، فيجيئ وصف مارأى ولم يخرج في هذه القصة  
على أحكام قرينته ولا على طبيعته الغالية عليه

ومعظم النقاد يحسبون « فرتر » من آثار المدرسة المجازية  
ويبعدون بها عن انماط قدماء الاغريق ، ويتساءل لسنخ كثيرهم  
في عصر جيتي : « أتحسب أن قتي من فتيان الاغريق أو الرومان  
كان يخضع نفسه لهذا السبب وعلى هذه الوضيعة ؟ » ويحيي  
لويس الانجليزي أكبر مترجمي جيتي أن نعم . لأن سفكليس

جعل أحد عشاقه ينتحر لفقد عشيقته ، ولأن الرواقين أدخلوا إعادة الاتسحار إلى رومة ، ولأن الرواقين في الإسكندرية ألفوا جماعة للاتسحار يتدعى أنصارها إلى المآدب ليأكلوا آو يشربوا ثم يتحرروا . ولسنغ مصيبة في فهم الروح الاغريقية السليمة ، ولويس مصيبة فيما عدد من الشواهد . ولكن الحالة هنا ليست بالحالة السليمة والمسألة هنا ليست مسألة الضحية في القصة بل مسألة التناول والأداء ، فإذا نظرنا إلى هذا فقلما نجد في آثار الاقدمين أثراً أبسط من هذه القصة ولا أصنف . وقد تجد في جوها مشابه من جو « قسيس ويكتفيا » التي كتبها جولد سمت الانجليزي ، وجو المرحلة العاطفية التي كتبها « ستيرن » الانجليزي أيضاً ، أو تجد فيها مشابه من « هلواز الجديدة » الفرنسية ، ولكنها بعد عريقة في اليونانية حتى لتبدو عليها المشابه الأخرى كأنها مسحة عارضة من أثر الطلاء .

---

## فوت

خرافة فوست قديمة يردها « هيئي » إلى ما قبل غزو النورمان للبلاد الانجليزية ، ويقول ان الشاعر « روبيف » من شعراء القرن الثالث عشر في فرنسا أخذها ونسج على منوالها في إحدى منظوماته الصوفية ، وخلاصة الخرافة ان « فوست » هذا كان رجلا ورث عن عمه مالا وتعلم كل علم في زمانه فاستبح في حقائق الدين والطب والفلسفة والسحر والفنون السوداء فلم يظفر من الحقيقة الكبرى بطائل ولم يطلع على سر غير الذي كان يعلمه قبل دخوله المدرسة ، أو كما قال المغرى

وعالمنا المنتهى كالصبة      ي قيل له في ابتداء تهج

فاستولى عليه القنوط من المعرفة الالهية ، وكان قد أضاع ماله في الشهوات ونهك جثمانه في المعاصي وناهز الشيخوخة الفانية وأدركته حسرة على شباب زائل لم يستنفده كله في المتعة والسرور ، فبرز له الشيطان يساومه على روحه وجسده فقبل المساومة وعقد معه عهداً أمضاه بدمه على أن يمد له الشيطان في الشباب أربعاً وعشرين سنة ثم يأخذ منه روحه وجسده بعد انصرام هذه

المدة ، فلها أطاع الشيطان راجعته الفتوة وانطلق في سيل الشر  
ففسق وقتل وجنى على الأبراء وتمادى في كل غواية وتقلب  
في هل رذيلة

هذه خلاصة الخراقة القديمة . فلها جاء القرن الثامن عشر  
تناولها « لسنغ » الكاتب الألماني الملقب بملك النقاد فأفرغ  
عليها روح ذلك القرن المتعطش إلى المعرفة والحرية ، فلم يشا  
أن يجعل الطمع في استجلاء الحقيقة والشوق إلى استطلاع  
أسرار الحس والنفس مأثمه يعاقب عليها المرء باللعنـة السرمدية ،  
وجعل الرهان بين الله والشيطان رهانا خاسرا لحزب الشيطان  
رابحا لحزب الله ، وأظهر هذه الخاتمة في الفصل الأول  
فاتتهى الفصل وصوت ينادي من السماء حين فرح الشيطان  
بغنيمته : « لن تفلح فيما تريد » . وقد جرى جيـتـى على آثاره .  
نـفـتـمـ لـفـوـسـتـ وـمـرـغـرـيـتـ بـالـخـلـاـصـ وـرـدـ الشـيـطـاـنـ بـالـخـذـلـاـنـ  
قضـىـ جـيـتـىـ فـيـ نـظـمـ روـاـيـتـهـ الـمـسـتـمـدـةـ مـنـ هـذـهـ الخـراـقـةـ زـهـاءـ  
سـتـيـنـ سـنـةـ ، فـبـدـأـهـاـ وـهـوـ لـمـ يـكـدـ يـجاـوزـ العـشـرـينـ وـخـتـمـهاـ  
قـبـيلـ وـفـاتـهـ ، وـلـاـ يـفـهـمـ مـنـ هـذـاـ أـنـهـ قـضـىـ السـنـيـنـ السـتـيـنـ كـلـهاـ مـكـباـ

على نظمها منقطعاً لتألifها . فانه لم يثابر على عمل واحد هذه المثابرة ، وإنما اشتغل بالكتابة فيها سنوات متفرقة خلال ذلك الزمن الطويل . فكان ينظم القصيدة ولم يتهيأ موضعها من الرواية . وربما هجر الفصل من فصولها وشرع في الفصل الذي بعده ، ثم هجر هذا وذلك وشرع في فصل آخر أو رجع إلى الفصول المتقدمة بالحذف والاضافة والتغيير والتبديل . فقد كانت الرواية شاغل حياته وإن لم تكن شاغل قلبه ، وكل ما عالجه « فوست » من الشكوك والآلام والمحن والمعارف أن هو الاصورة لما خالج نفس جيتي في شبابه ومشيه ، وفي رحلته ومقامه

وقد اختلفت مواطن الرواية كما اختلفت أزمانها ، فنظر بعض مشاهدتها ومعانيها لجيتي وهو في سويسرا ، وخطر بعضها له وهو في ايطاليا ، وصاحبته أفكارها وأخيالها في مدن المانيا شتى على حسب الحوادث التي صادفته والشجون التي اعترضت حياته . وللقاريء بعد هذا أن يتصور كيف تكون رواية تجمع بين القرون الوسطى والعصور اليونانية ويشارك في أدراها كها قتي في العشرين وكهل في الخمسين وشيخ في الثمانين ، ويتألف

نسيجها من نزوات الصبا ومخابر الكهولة وعبر الشيخوخة ما بين مناظر الجنوب والشمال و المعارف الزمن وآدابه في جيلين متعاقبين : فهذا نطاق واسع من الزمان والمكان والحياة، وأوسع منه موضوعه الذي أحاط به لأنه هو موضوع النفس الإنسانية بين الفكر والعقيدة والهوى ، وبين الفن والعلم والسحر . ثم بين اليأس والرجاء ، والحرمان والغفران

وهو موضوع كبير عالجه فكر كبير ، ولكنه كذلك موضوع متفرق عالجه فكر متفرق . فان جيتي لم يكن فقط « جاما » في تفكيره ولا مستوعبا في تحريره واستخلاص تأججه ومعازيه ، لأن الحقائق عنده أشتات تلاحظ كل واحدة منها لذاتها وتدخل لذاتها ، ويوكل إليها جميعاً أن تتألف في قراره الفكر إذا كان لها مجاز إلى التأليف

قال هيئي في وصف رواية فوست : « إنها تشتمل على شدرات جميلة ولكنها تشتمل إلى جانبها على أشياء لا يبرزها للدنيا إلا من وقر في خلده أن من عداه من الناس مغفلون » وهذا صحيح ، فان الحشو في الرواية كثير والتفكك فيها

ظاهر والمحاولة الفنية في سبك أجزائهما ضعيفة ، ولا أزال أذكر أيامى الأولى في قراءة فوست منذ ست عشرة سنة . فقد بدأت بالقراءة عنها ومنيت نفسى نشوة فكرية لانظير لها . فاستحضرت ترجمات ثلاثة لها بالإنجليزية لاستدل بالمقابلة بينها على ماسقط منها في خلال الترجمة ، وانتظرت الاجازة السنوية لأتفرغ لها وأتعقب فصوتها وحواشيها ، فلم أجد الكنز الذى ترقبه ووجدت كنزا آخر لانشوة فيه ولم أكن أطلبه ... وتذكرت قصة الوالد الذى استدعى نيه وهو على فراش الموت فأسر إليهم أنه خبأ لهم كنزا فى ضياعته أخفى عنهم مكانه ، وأوصاهم أن يبحشو عنه ويقلبو الأرض حتى يعثروا به . فبحشوها وقلبوها فلم يجدوا الكنز الذى حلموا به وانما وجدوا الكنز الموعود في وفر الغلة بعد تقليب أرضها واستصلاحها للثمر ! وهكذا كنت مع جيتي فى روايته هذه : فانه لم يodusع لي كنزا ولم يعطني الا ما أخذته بيدي ، وزاد على ذلك أنه وضع الأعشاب والزوغان في الأرض حيث لم يكن فيها نفع ولا ضرورة ان كل ما فى الرواية من العيوب والفجوات وكل ما فيها من

( م - ٤ )

وجزء الرواية الأول أحسن حالا في هذه الخصلة ، لأنه يمس قلب الانسان ويستجيش عاطفته بقصة الفتاة « مرغريت » التي وقعت في حب الشيطان بغيرها إلى الفسق فالقتل فالعار فالسجن

والجحون ، فان صورة «مرغريت» لتضارع اجمل الصور الانسانية التي خلقتها الآداب في جميع العصور ، وعلى هذه الصورة الحبة تقوم الرواية واليها يعزى النجاح الذى أصابته عند جمهور النظارة ، فاذا عدوناها الى غيرها فهناك مناجاة فوست وحواره مع الشيطان تارة ومع التلميذ تارة أخرى . وهناك أشجانه وهو اجلسه وكلها على جانب وافر من الشعور والفكر يهز أو تار الحياة ويفتح للذهن أبواب التأمل والاعتبار

فالجزء الاول - كاسلفنا - أحسن حالافي هذه الخصلة ولهذا كان احسن حالا من ناحية التناسق والتنظيم . ولكنك مع هذا تتظر فيه فتجد مناظر كاملة لا علاقه لها بتنسيق الرواية في شيء ، بل تبدأ الصفحة الاولى بحدث بين شاعر ومدير مسرح وصديق لهما ليس بينه وبين الرواية سبب ، ومن طرائف جيتي في قلة الاكترااث أنه نظم أبياتا يحمل بها على ناقديه لينشرها في احدى الصحف . فلما تعذر عليه نشرها أخذها وألقى بها في هذا الجزء بغير تمييز ولا تفسير !

اما الجزء الثاني فهو الفوضى بعينها يزيد عليه الغموض الذي لا ينتهي الى طائل ، ولكن يقف القارئ على مثال من

فوضى التأليف فيه يكفي ان يعلم ان الجزء كله قائم على قصيدة نظم جيئ بعضها قبل صدور الجزء الاول ونظم باقيها بعد صدوره ، ونشرها كلها على حدة في سنة ١٨٢٧ وهو يشعر بما فيها من الخلط فسماها « خيال الظل الكلاسيكي الرومانتيكي » ... ثم جعلها محور الجزء الثاني بما ألصق بها وأضاف إليها ، وهذه هي قصيدة « هلينا » الفاتنة اليونانية التي ثارت حولها حرب طروادة المشهورة في الإلياذة

هذا مثل من التلتفيق في التأليف. أما الرمز الغامضة الشائعة في الجزء كله فتالها بناء فوست بـ « هلينا » والإشارة بذلك إلى الحضارة الأوروبية التي هي زواج بين الثقافة الاغريقية وثقافة القرون الوسطى !! فالثقافة الاغريقية هي « هلينا » وثقافة القرون الوسطى هي « فوست » .... ولما أراد جيئ أن يزج بذلك في « بيرون » في القصيدة أسبغ صفاته على « يوفريون » ولد فوست وهلينا أو ولد الاغريق والقرون الوسطى، فذاه هو بيرون كما شاء ! ومن رموزه ما كان هو نفسه لا يفهمه ، فقد سأله اكرمان عن الامهات الالاتي وردت الاشارة اليهن في هذا الجزء ولجا

الىهن فوست لاستحضار روح هلينا ، قال اكرمان : « ولتكنه تقنع بالغموض ونظر الى عينين مفتوحتين وهو يردد : الامهات الامهات ! ان في الكلمة لسرا خفيما . وليس في وسعى أن أزيدك بها علما ، إلا أن أقول لك إنني طالعت في بلو تارك أن الامهات كن بعض الآلهة في يونان القديمة » . فكأن جيتي قد أخذ هنا برقة الكلمة الخفية ولم ينظر وراءها الى مدلول واضح في ذهنه ، وانما هو أثر من آثار الولع بالاسرار الذي استولى عليه في أواخر أيامه ، أو هو عرض من اعراض الشيخوخة التي تبدو على المفكرين عند الاحساس بقرب النهاية ، وجيتني نفسه يقول لنا ان لكل عمر فلسفة . فالطفل « واقعى » لانه واثق من التفاص والكمثري ، والشاب خيال لا ضطراب العواطف والدوافع في نفسه ، والرجل « شكوكى » لانه يخاف أن تختلف وسائله وأحواله ، والشيخ متصرف معتقد بالاسرار « لانه يرى ألف شيء يعتمد على المصادقة ، ويرى السخافة تفلح والرشد يتحقق والسعادة والشقاء نوباتدول ، هكذا تجري الدنيا وهكذا جرت ، والشيخ يجد السكينة فيها هو كائن وفيها كان وفيها سيكون »

ومتى ذكرنا ولع جيتي بالخفايا في صباح لم نعجب لهذه النزعة التي نراها في فوست الثانية ، بل عجبنا له كيف ملك معها قواه ولم يخرج بها من حيزها الذي قصرها فيه ، فهو جن مارد ، لكنه في قمقمه وطوع يد سليمانه ، الى مدى يتفقان عليه !

وبعد فما الغرض من رواية فوست وما مغزاها ؟ لقد سئل جيتي هذا السؤال فاجاب في غير اكتراث : تسلني كأنما أنا أعرف هذا المغزى ؟ إنماهى رحلة من الارض الى السماء خلال الجحيم !

ولك ان تقول شيئاً كهذا عن روايات جيتي كلها أو عن كبرياتها على الخصوص ، فهناك أشخاص متفرقون وحوادث متفرقة ، وهذه هي الصفة التي تستطيع ان تحصرها في جميع الروايات . أما ما عدا ذلك فهو غير محصور !

وقد تكون للأشخاص بنية قائمة وملامح مميزة وسمات مألوفة ، أما الحوادث فليس لها هذه البنية وليس ملامحها وسماتها وحدة مرسومة

وسبب ذلك بسيط معقول ، وهو أن جيتي يأخذ الزمن من ساعة

والحوادث واحدة واحدة ، فأنـت اذا جمعـت الف حادـثة متـفرقة عنـ شخص واحدـفهـنـاك بـذـيـة مـرسـومـة وـشـخـص مـعـلـومـ وـلـو اـخـتـلـفـتـ الحـوـادـث وـجـاءـت عـلـى غـير اـطـرـادـ ، وـلـكـنـ هـذـهـ الحـوـادـث بـقـضـهاـ وـقـضـيـضـها لـاتـكـفـيـ لـتأـلـيفـ كـتـابـ وـاحـدـ اوـ روـاـيـةـ وـاحـدـةـ اـذـاـ هـيـ أـخـذـت عـلـى تـشـعـثـ وـعـلـى غـيرـ نـسـقـ . بلـأـنـت اـذـا سـمـعـتـ عـشـرـ نـوـادرـ مـتـفـرـقـاتـ عـنـ اـنـسـانـ وـاحـدـ قـدـ عـرـفـهـ وـحـفـظـهـ ، وـلـكـنـكـ اـذـا سـمـعـتـ بـعـشـرـ حـوـادـثـ مـتـفـرـقـاتـ فـلـسـتـ تـعـرـفـ الـاـهـدـهـ الحـوـادـثـ دـوـنـ غـيرـهـاـ ، وـمـنـ ثـمـ تـضـيـعـ الـوـحـدـةـ فـيـ روـاـيـاتـ جـيـتـيـ وـلـاـ تـضـيـعـ الـوـحـدـةـ فـيـ اـشـخـاصـهـ ، وـفـوـسـتـ هـيـ ، المـشـلـ الـأـعـلـىـ »ـ فـيـ هـذـيـنـ النـقـيـضـيـنـ عـلـىـ اـنـ جـيـتـيـ يـجـيدـ فـيـ وـصـفـ الـاـشـخـاصـ لـسـبـ آـخـرـ وـهـوـ آـنـهـ يـأـخـذـ اوـ صـافـهـ مـنـ الـوـاقـعـ وـيـرـىـ بـعـضـ الـمـنـاظـرـ كـاـ جـرـتـ لـهـ هـوـ فـيـ حـيـاتـهـ ، وـتـلـكـ سـنـتـهـ فـيـ جـمـيعـ أـبـطـالـ الغـيـبـ وـالـخـيـالـ ، فـلـمـ رـسـمـ «ـ مـفـسـتوـفـلـيـسـ »ـ فـيـ روـاـيـةـ فـوـسـتـ جـاءـ شـيـطـانـاـنـسـانـيـاـ اوـ اـنـسـانـاـ شـيـطـانـيـاـ منـ طـرـازـ بـدـيـعـ . وـاـنـاـ جـاءـ ، كـذـلـكـ لـاـنـ جـيـتـيـ كـانـ يـقـرـأـ اوـ صـافـ الشـيـطـانـ فـيـ جـمـيعـ الـعـصـورـ وـيـطـبـقـهاـ عـلـىـ مـنـ حـولـهـ . فـأـيـهـمـ كـانـتـ بـهـ بـعـضـ هـذـهـ الصـفـاتـ فـيـ نـفـسـهـ اوـ جـهـانـهـ رـصـدـهـ وـرـاقـبـ كـلـامـهـ وـأـفـعـالـهـ وـاقـبـسـ مـنـهـاـ مـاـ يـنـاسـبـ مـنـاظـرـهـ

وتعجنتنا في هذا المعنى كلمة الاستاذ «ارنست لشتبرجر» شارح جيتي المشهور حيث يقول : « وهذا الشيطان ألا تراه على قرب عجيب من الانسان ؟ الاتراه في الحقيقة شيطانا فلسفيا ناما على جذور صورة الشيطان في القرون الوسطى واستند لها ؟ ففيه من عنصر اهرمان في الديانة الزندية ، وفيه من فلسفة الخلقة اليونانية ، وفيه من التوراة وسفر أيوب ، بل فيه ملامح مما قرأ جيتي في افلاطون وارسطو والقديس اغسطين ، يمتزج ذلك بالاساطير الجرمانية وأقوال ولنبع وبوهم وسودنبرج ولينبتر وشكسبير . وقد ترى فيه أحيانا لحة سينيوزية . قشمة روح الهدم والانكار في القرن الثامن عشر ، وثمة فيلسوف فرنسي ، وثمة فاتير ، وثمة كل ما هو كريه في الفترة الزوبعية التي كان يتتبّع إليها الشاعر ، ويصح أن تقول في بعض المواطن انه هو روح الفترة الزوبعية بعينها ، وأنه يتراهى بسمات من بهريش (١) وهردر ومرك على المخصوص وباسدو ودارب المصور وبيير وجيتى نفسه ؛ وهكذا

(١) هؤلاء حبسا من معارف جيتي ؛ ومرك الذي خصه الكاتب كان طويلا نحلا معقوف الانف يتخاثث في كلامه وأعماله، فهو في شكله أقربهم الى صورة الشيطان المصطلح عليها في ذلك الزمان

أبدع جيتي الشيطان العالمي وصهر في بنية واحدة شياطين  
جميع العصور »

يريد «لشتبرجر» أن يقول ان جيتي رسم صورة الشيطان كما تطورت من أقدم العصور الى أن تحدرت الى عصره بل الى نفسه ، وخلاصة هذه الاطوار تندمج في تعريف الشيطان نفسه بأنه جزء من تلك «القوة التي قد تنوى الشر ولا تفعل الا الخير» فعلى هذا المعنى ليس يأبى جيتي تلك المايلة بينه وبين الشيطان ! وهو الذى أثنى على ناقد فرنسي المع الى تلك المايلة في مجلة الجلوب فقال: ان ملاحظات هذا الناقد نافذة ، لانه لم يلاحظ ما في البطل الأول من قلق الدوب فحسب «بل لاحظ منه التحكم والسخر المرير في مفستوفليس كأنه جزء من نفسي »

جيتي يمايل شيطانه الساخر أحياناً كامايل بطله العالم الساحر طالب المتعة والفهم في عالم الحس وعالم الفكرة ، أو فوست يمايل الشاعر في بعض حالاته والشيطان يمايله في بعض حالاته الأخرى ، وقد يمايلانه معافي حالة واحدة الا ان الشيء الوحيد الذى لا يمايلانه فيه هو الحركة الدائبة .

فان فوست والشيطان يتحركان ويركضان أما جيتي فيدع  
موكب الدنيا يتحرك أمامه ويلتفت إلى كل صف من صفوفه في  
ساعة مروره . ولقد تغنى في مطلع فرتر بمنعة الحاضر وتغنى  
في ختام « فوست » بجمال اللحظة الحاضرة . فأوحى إلى  
فوست أن ينادى اللحظة العابرة أن تقف بين يديه لأنها جميلة ،  
فعبرت لا تصغي إليه !!

فكانه بدأ حياته وختمتها في عالم الأجزاء المفرقة . فشهد الدنيا  
جزءاً كأصدق ما يشهد لها شاهد ، وكان كمن ينظر إلى القمر  
خلال المنظار يراه قطعة قطعة أصدق مما يراه أي ناظر ،  
ولكن الناظر يراه كله جملة واحدة أصدق مما يراه صاحب المنظار

## ولهم ميسير

اذا كانت «فوست» أكبر كتب جيتي الشعرية فولهم ميسير هي أكبر كتبه النثرية : تلك رواية تمثيلية وهذه رواية قصصية . وقد جرى في تأليفها على عاداته ولا سيما في كتبه المطولة ، فبدأها في سنة ١٧٧٧ وفرغ منها في سنة ١٨٢١ . وقسمها إلى جزئين أحدهما سماه تلذة ولهلم ميسير والآخر رحلاته ، وكان شأنه فيما كشأنه في جزئي «فوست» على السواء . فال الأول منسجم قوى والثانى مضطرب ضعيف ، والأول بين صاف والثانى غامض موشع بالرموز والأسرار . وقد لجأ هنا إلى الحشو والتلفيق كما لجأ هناك . فمن ذلك ما قصه أكرمان وأثبتته فى أحدى شهاداته يوم الأحد الخامس عشر من شهر مايو سنة ١٨٣١ . فقال بعد كلام عن كتب جيتي التي تطبع بعد وفاته :

«ثم تكلمنا عن الحكم والخواطر التي طبعت في ختام الجزئين الثاني والثالث من الرحلات . وكان جيتي لما شرع في تنقيح هذه الرواية وإتمامها قد نوى أن يمدها إلى جزئين بدل جزء واحد ، كما جاء في الإعلان عن الطبعة الجديدة المؤلفات الكاملة .

ولكن الرواية تجاوزت ما قدره لها أثناء الكتابة ، وكان كاتبه يوسع الكلمات والسطور خدعاً جيئي وظن ان ما عنده كاف لثلاثة مجلدات لا لمجلدين اثنين ، وعلى هذا أرسل المسودات في مجلدات ثلاثة الى الناشرين . فلما بلغ الطبع موظعاً من الرواية تبين لجيئي خطأ الحساب وعلم أن الجزئين الآخرين صغيران في الحجم ، وبعث الناشرون في طلب المزيد ولا سيل اليه لصعوبة التغيير في مجرى الرواية واضافة حكاية جديدة في هذه العجلة، فثار جيئي في الأمر . واستدعاني فأفضى الى بالمسألة وذكر لي كيف فكر في تلافيها . ووضع بين يدي ملفين كبيرين من الأوراق المخطوطة التي أخر جها لهذا الغرض . ثم قال لي : إنك ستتجد في هذين الملفين أوراقاً شتى لم تنشر ومقاطعات مبتورة تامة وغير تامة ، وأراء في العلوم الطبيعية والفن والأدب والحياة يختلط بعضها ببعض . فماذا ترى في اقتباس صفحات ست أو ثمان مطبوعة من جميع هذه الأوراق لسد الفجوة في الرحلات ؟ إنها لاشأن لها بالرواية إذا توخينا الدقة ولكننا نستطيع أن نسوغ أضافتها بما سبق من الاشارة الى المحفوظات المدخرة في بيت مكاريا حيث ت-chan أمثل هذه الأوراق ، وكذلك نذلل

الصعوبة في الوقت الحاضر ونعتز بالوسيلة التي تتيح لنا أن نرجى  
إلى الدنيا بهذه الأشياء الممتعة »

هذا بعض أنماط التأليف عند جيتي في الروايات والكتب،  
وفي هذه الرواية عدا ذلك كتاب كامل أبواب كامل أضافه إليها  
بأوهي سبب ! ونعني به الكتاب السادس من تلمذة ولهلم  
المعروف باسم « اعترافات النفس الطيبة ». فهذا الباب يطبع  
الآن على حدة فلا يشعر القارئ أنه مقتضب من رواية شاملة،  
وأصله مستمد من أحاديث ورسائل لأحدى صديقات أمه إسمها  
سوزان كاترين كلتبرج وصفها في الباب الثامن من ترجمة حياته  
وقال إنها هي صاحبة الاعترافات التي ضمها إلى « تلمذة ولهلم  
ميستر » ! ... فاتنظم له بهذا باب مسبب كسائر الأبواب !  
وقد قسمت الرواية إلى قسمين أحدهما للتلمذة والأخر  
للرحلة لأن بطلاها مثل يتدرّب على فنه ، وكان الممثلون في ذلك  
العهد لا يدركون مرتبة الأستاذية إلا بعد مرحلة يقضونها في  
التلمذة وبرهة أخرى يقضونها في الرحلة ، فولهلم ميستر يخوض  
هذا الغمار ويتدرب على الفن وعلى الحياة وتفضي به تجربة

الدنيا وتجربة نفسه الى ترك التمثيل ومواولة الطب ، لأنّه عرف  
كفاءته الصحيحة بطول المراة

\* \* \*

لقد كان في فوست سمات من جيتي فهل في وظلم ميسترمثل هذه السمات ؟ نعم . وأولى هذه السمات هي تشقيق النفس بالمشاهدة والتجربة ومعرفة الكفاءة بالعمل والمزاولة ، فكلّا هما ترك فنا كان ينشده ويطلب الأستاذية فيه وعدل عنه الى علوم أخرى . فأما الفن الذي تركه ميستر فقد علمنا أنه التمثيل . وأما الفن الذي تركه جيتي فهو التصوير ! تركه بعد أن كان يرشح نفسه فيه لبلوغ أقصى مداه ، فلما زار ايطاليا وجرب قدراته هناك وقضى ما قضى من الوقت في مراسمه وابتغاء التفوق فيه على غير جدوى صدف عنه وعاد من ايطاليا على هذه النية وقد كان في نيته أن يقصر رواية « وظلم ميستر » على التمثيل وأن يتمها بأن يقود البطل في طريق النبوغ والأستاذية ، فعدل به كذلك عن هذه الطريق كما عدل هو عن طريقه . فهذا في تجربة النفس وتاريخ العدول عن الرغبة الأولى يلتقيان

منظر من تصویر جنی



وسمة أخرى تتشابه بينهما هي قلة المثابرة والتصميم والاتهاء إلى التفويض والتسليم ، والتجاؤهما إلى الطلاسم والقوى الخفية يتسليان بها عن عزيمة الجهد كما يتسلى الفنان بمعانى القرحة عن وقائع الحياة ، وما به دجل ولا غباء

والسمة الظاهرة عليهما فوق كل سمة هي كثرة العشيقات وأسلوب التنقل من غرام إلى غرام . فأسلوب جيتي وهو يلوذ من عشيقه بعشيقه كأسلوب « ولهم ميستر » وهو ينتقل من ماريانا إلى فيلين ، ومن فيلين إلى مينون ، ومن مينون إلى النيلية ، ومن النيلية إلى أوريل والأنسة كتباناخ ، ومنها إلى تيريز ، ومن هذه إلى الأمازونة ، وكذلك يتتشابه الأسلوبان في ترويض النفس بالحب وفي صوغ العواطف وادخار الشعور ، ويتشابهان كذلك في علو النظرة الفنية في معظم هذه العواطف على اسفاف الشهوات فإذا خطر لـك أن تسأـل عن هذه الرواية كما سـألت عن فوست : ما الغرض منها ؟ وما مغزاها ؟ فـنـقـ وـسـعـكـ أـنـ تـعـلـمـ قـبـلـ السـؤـالـ أـنـهـاـ لـاـ غـرـضـ لـهـاـ وـلـاـ مـغـزـىـ !! وـاـنـ جـيـتـيـ أـوـلـ مـنـ

بكأشفك بأنه لا يقبض على مفتاحها ، ولكنها وطاب حافل  
 بحقائق الحياة في الفن والتعليم والنقد والعلم والدين والسياسة  
 هيئات يداريه وطاب ، ثم هي مشاهد ناطقة بالصدق  
 والحكمة ، وشخص موسومة بالملائحة والاتقان . ولا سيما  
 شخص الفتاة « مينون » التي راحت في آداب الغرب على  
 من الأعلام

---



منظر الوداع من جبال ايطاليا تصوير جي

## الميدواه الشرقي

اللمان كثير و الدراسة للشرقيات بين الأوربيين ، وقد تضاعفت عنائهم بها في أواسط القرن الثامن عشر لسبعين: أحد هما النهضة العلمية العامة والآخر تمرد هم على سلطان الآداب الفرنسية، فانهم لما تمردوا على هذه الآداب حولوا وجوههم الى كل وجهة أخرى . فدعوا الى اليونان الأقدمين ، ودعوا الى الانجليز ، ودعوا كذلك الى الشرقيين يطالعون كتبهم ويترجمونها ويفتقسون منها الموضوعات

وقد كان جيتي المانيا صحيحاً في حب التوسيع والاطلاع ، فهل من الآداب الشرقية مع الناهلين ، وقرأ السيرة النبوية وهو في نحو الرابعة والعشرين ، واطلع على القرآن وأمعن فيه امعان الأديب وأمعان الباحث في الأديان ، فاصطبغت كتاباته الدينية بصبغة قرآنية كما يرى القارئ في كلامه عن الله ودلائل وجوده، وخرج من هذه الدراسة ينوي أن يكتب رواية شعرية تمثيلية في سيرة النبي العربي. فنظم بعض قصائدها وقسمها إلى فصول : الفصل الأول يبدأ بالمناجاة والاعتكاف واستعراض العادات الجاهلية وينتهي بالهداية إلى الوحدانية، والفصل الثاني يبدأ بالدعوة وينتهي بالهجرة ،

والفصل الثالث يبدأ بالنصر وينتهي بتطهير الكعبة من الأصنام ،  
والفصل الرابع يبدأ بالفتورات وينتهي بالسم ! والفصل الأخير  
تجلّى فيه نفس محمد الربانية بعد أن عرك الدنيا وأخذ منها  
وأخذت منه ، فاستوى على مثاله وارتفع إلى أوج كماله ، ونممه  
حظ الأديرين أدب الأرض وأدب السماء

وقف جيتي عند التقسيم والشروع فلم يكتب في روايته هذه  
الاشدارات ، وظل على حنين إلى موضوعها يعاوده من حين إلى  
حين ، فلما عز عليه انحصارها قنع بترجمة رواية « محمد » لفولتير  
مع التصرف فيها ، وأرر لها سنة ١٨٠٠ للتمثيل

ولكن رواية فولتير والرواية التي أرادها جيتي جد مختلفتين ،  
إذ كان فولتير يسيء الظن بالنبي وجيتى يأخذ عليه ما يأخذون لكنه  
يسلكه في أكبر العظاء المصلحين ، وقد سمع ملام نابليون لفولتير  
على تأليف هذه الرواية وتصويره النبي في تلك الصورة ، فسكت  
على ذلك الملام

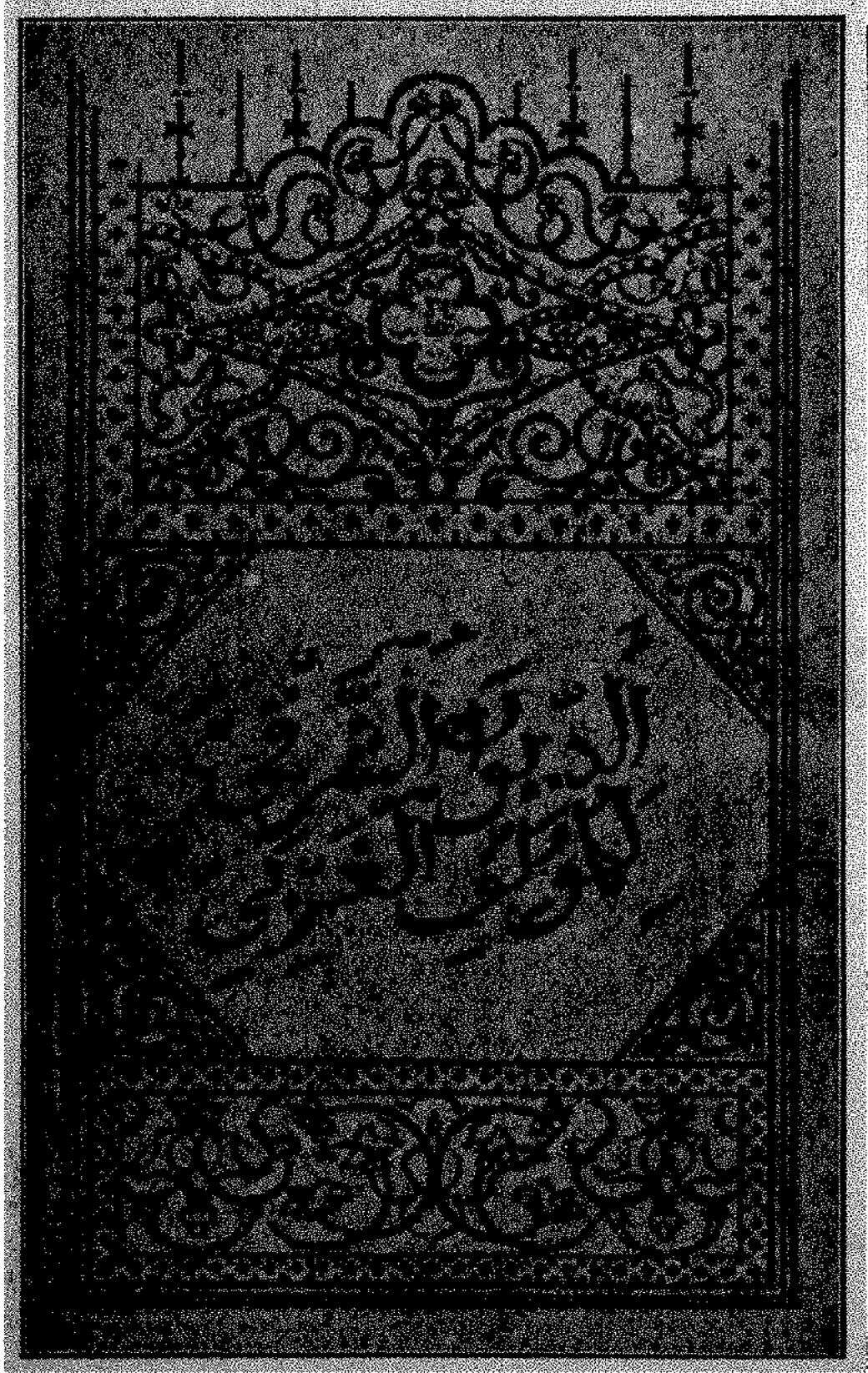
تلك كانت عنابة جيتي بالشرقيات منذ صباه ، وقد تقدمت به  
السن وهو لا يفتأً يعود إليها كلما سانحت له فرصة من كتاب  
جديد أو بحث طريف : فقرأ ألف ليلة وليلة ، ووعى دواوين

السعدي وحافظ الشيرازي والفردوسي التي ترجمت الى الالمانية، وامتلاً بهذه وتلك فبدأ في نظم القصائد على الطريقة الشرقية في معانٍ الفرس والعرب كما يتخيلها الغربيون ، وعلق في سنتي ١٨١٤ و ١٨١٥ بحب الفتاة ماريان دى فيلمر فجاشت نفسه بالغزل واجتمع له ديوان كامل من هذه المنظومات ، فذاك هو الديوان الشرقي الذي اضاف اليه وطبعه بعد ذلك بأربع سنوات اشتمل هذا الديوان على اثنى عشر بابا على هذا الترتيب ، وهى الشادى ، وحافظ ، والحب ، والتأمل ، والحزن ، والحكم ، وتيمور ، وزليخة ، والحانة ، والامثال ، والفرس، والفردوس . وحاول في جميع هذه الابواب ان يقتدى بالشرقيين في مذهب الغزل ومذهب التصوف ، فاتخذ رائده في المذهبين شعر حافظ الشيرازي الذى يراوح فيه بين غزل الحس وغزل الروح ، وقال فى هذا المعنى « هلم نسم الدنيا العروس ونسم الروح العريس . من عرف حافظا فقد شهد هذا الزفاف »

وعلى هذا ربما لقى حبيته بعد طول الغيبة فنظم في « اللقاء » وادعه معنى لقاء الروح لعالم النور كما يتغنى به المتصوفون ،

وربما قرأ أبياتاً للسعدي عن احتراق الفراش بنار المصباح فنظم  
في احتراق النفس بالحب ، والتماسها الحياة من طريق الفناء !  
على أن جيتي أنصف فلم يزعم أنه وفق في حاكاة الشرقيين  
ولا في حاكاة حافظ صديقه المحبوب ، وإنما وصف كتابه بأنه  
« الديوان الشرقي للمؤلف الغربي » فاحسن الوصف كل الاحسان  
فالديوان يمثل الشرق كما يراه خيال شاعر الغرب من بعيد ،  
ولا يمثل الشرقيين كما يراهم الشرقيون الا على سبيل الاتفاق  
وقد راق جيتي أن يسم الديوان بالسمة الشرقية في شكله  
ومعناه ، فجعل له غلافاً عريباً مزخرفاً بالنقوش العربية ، وكتب  
في أوله تحية شعرية ترجمها له الاستاذ سلستردى ساسى المستشرق  
المعروف في الكلمات الآتية : « يأيها الكتاب سر الى سيدنا  
الأعز فسلم عليه بهذه الورقة التي هي أول الكتاب وآخره :  
يعنى أوله في الشرق وآخره في المغرب » ويشير جيتي بذلك الى  
كتابة الشرقيين من اليمن إلى الشمال وكتابة الغربيين من الشمال  
إلى اليمن ، فتحيته هي الأول والآخر . لأنها تأتي في أول الكتاب

الغلاف العربي للديوان الشرقي



عند الشرقيين وفي ختامه عند الغربيين  
 بل أراد جيتي أن « يستشرق » ما استطاع في أثناء اظهاره  
 لهذا الديوان . فكان يقرأ الاشعار الشرقية وينسخ الخطوط  
 العربية ، كأنه يلاقي بذلك بين الروح وجثمانه واللّفظ وفحواه ،  
 فكان في هجرة الى الشرق كما قال ، أو كان الديوان « سلاماً » من الغرب  
 الى الشرق كما قال هيبي ، وهو على كلتا الحالتين هجرة مبرورة  
 وسلام نرده بأحسن منه

---

## مؤلفات أخرى

تلك أشهر مؤلفات جيتي وأدلاها عليه . ولجيتي مؤلفات أخرى معظمها من قبيل المقطوعات المبتورة وقليل منها الذي تم واتنظم في عداد المؤلفات الكاملة ، وله فضول في صحف اشتراك في اصدارها مع غيره ورسائل إلى الأصدقاء والصديقات وله أحاديث مروية مع أكرمان وولف ومولروسوريه وريمر وغيرهم لا تقل هي ورسائله الخاصة عن طبقة كتبه في الاصابة والامتناع ولعل أتم مؤلفاته بناء وأحسنها تنسيقا رواية « هرمان ودوروثي » التي بدأها في أو آخر سنة ١٧٩٦ وفرغ منها في مارس من السنة التالية ، وكان شيلر يحضره على اتهامها ويواجهه بالسؤال عنها، بجاءت على نظام حسن لكتابتها في قترة واحدة واطلاع شيلر عليها . وهي حكاية المانية نظمها جيتي على مثال رواية لويس للشاعر فوس واتخذ لها بطلة احدى الخدم المهاجرات الهاربات من الجنود الفرنسية ، وجعلها تتزوج بالفتى هرمان وهو من طبقة الموسرين ، ووصف فيها عادات الألماان وأخلاقهم وأدابهم في اسرتهم . وضمنها زعة وطنية لا تصادفها كثيرا في روايات جيتي الأخرى .



حيى في الخادية والأربعين

فهي لهذا محبوبة عند الالمان ، وهي « ورتر » الخامسة والأربعين من العمر ، ففيها عواطف « ورتر » الأولى كلها ولكنها هنا صافية مقررة أقرب إلى العمل منها إلى الخيال

وله رواية أخرى عن ثورة هولندة في طلب الحرية الدينية والسياسية أسمها باسم الكونت « أجمونت » وأطال مراجعتها على عادته ، فبدأها سنة ١٧٧٥ بتشجيع من أبيه ولم يفرغ منها إلا في سنة ١٧٨٨ بعد رحلة في سويسرا وآخر في إيطاليا

وهي - كما قال لويس الكاتب الانجليزي - حوار ليست برواية تمثيلية ، وكانت نثرا فنظمها شعرا . وقد قال في ترجمة حياته أنه شرع فيها ولما يبرأ من وجده على صاحبته « ليلي ». فكان بطلتها كلارسن مرسومة على نموذج تلك الحبيبة ، وإن خالفتها في بعض الأوصاف

وله رواية « افيجيني » وهي التي تختار في مناسبات الذكرى من بين رواياته التمثيلية ، وكان جيتي يمثل أحد أدوارها في حياته ، ومدار الرواية على أسطورة يونانية قديمة ترجع إلى حرب طروادة . وخلاصتها أن « اغا منون » قتل ظبيا لديانا آلهة الصيد فغضبت الآلة وأرسلت الطاعون على جيشه وحجبت الرياح عن سفنه فوقفت

في مكانها ، فلما التمس الفتيا في شأن هذا البلاء قيل انه لا يدفع الا بضحية ولا تكون هذه الضحية الا بنته « افينجيني ». فامثل أمر الالهة وجاء بابنته للداء يزعم لها انه سينفها الى البطل أشيل ، فأشفقت ديانا عليها واتخذتها كاهنة لها في طور يد ، وهناك جاءوها باخiera « اورست » وصديقه ييلاد - وهي لا تعرفها - لتضحي بهما الى الالهة ، فلما عرقهما احتالت على العود معهما الى بلادها ، فعادوا جميعا بسلام وقد نظم « يوريدس » الشاعر اليوناني في هذه الاسطورة ونظمها جيتي في صيغة أخرى . إلا أن الفرق بينها كالفرق بين ما يكتبه يوناني في عهد الجاهلية وما يكتبه ألماني في عهد الثقافة الحديثة ، فحيتي بسيط في ادائه كالشاعر القديم ، ولكن رواية « يوريدس » قائمة على صراع الشهوات ورواية جيتي قائمة على صراع الاخلاق ، وتلك مزدحمة بالمشوقات والمفاجآت وهذه لا تشويق فيها ولا مفاجأة ، والقدر في الاولى صارم في أحکامه ولو عدل عنها ، ولكنه في الثانية قدر واسع الرحمة غفور وأنت تخرج من هذه الكتب بالنتيجة التي خرجت بها من الكتب الاولى ، فحيتي هنا وهناك شاعر الاجزاء والحالات الفردية يجيد فيها ولا يجيد في غيرها : نفذ منه ما شئت سردا

للكلام المفرد ورسماً للشخصوص المعزولة ، لأن مملكة الأجزاء  
تغنى كل الغنى في هذه المقاصد . ييد أنها لا تغنى في حبك الفضول  
المركبة ولا في ربط الواقع المشعبه ولا في أحياه الحركة واشتكاك  
العقدة ، فحظه من الاجادة في هذه المقاصد غير جليل

وأجiti ترجمة كتبها بنفسه وأسماؤها « الشعر والحقيقة »  
لا يستغنى عنها المترعرف له ولزمانه ، وقد دونها الشعوره بتفرق  
كتبه وحاجتها إلى تفسير لمناسباتها وآصرة تجمع شتاتها ، فلما  
تكلمت بين يديه طبعة مؤلفاته في سنة ١٨٠٨ أحس بهذه الحاجة  
ورأى أن هذه الكتب إن هي إلا مقطوعات شتى من اعتراف  
واحد طويل . فأقبل على تاريخ حياته يستعيد ويملأ فيه الفجوات  
بين تلك المقطوعات . وهو في تدوين مذكراته كان يجري على  
سنة عصره أو على سنة النابحين في آداب الثورة الفرنسية من قبله ،  
فله باعث في تدوينها غير باعث التقرير بين فترات حياته والوصل  
بين أشتاب مؤلفاته

على أن هذه الترجمة نفسها بقيت ناقصة كما قد بقيت تلك  
المؤلفات ! وقد الحقها بمذكريات أخرى أو جزء منها ، ولكنه  
اتهى بها إلى ما قبل وفاته بعشرين سنتين ، ولم يزد عليها

## عِبْرِيَّةُ جَسْنِي

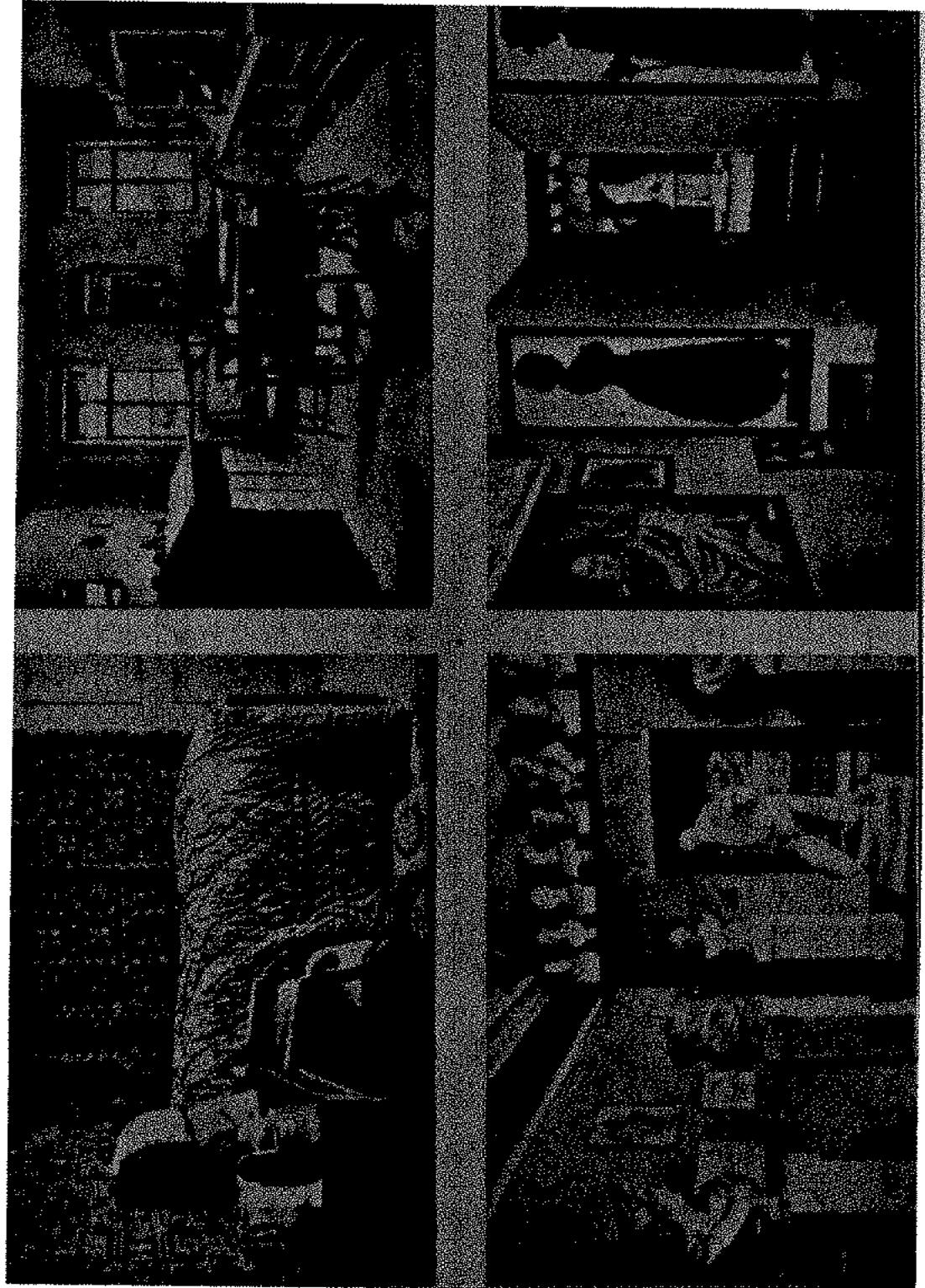
من العبريين من تعرف مداه بكتاب واحد أو قصيدة واحدة ، لأنها يرتقى إلى أوجه في بعض أعماله فيأتي بخير ما عنده أو بكل ما عنده ، وترفه حق عرفانه فلا تحتاج إلى تجربة له بعدها ولا تصيب في التجربة الجديدة إلا تكراراً جديداً فيه .

ومنهم من يعطيك جزءاً من عبريته في كل جزء من كتاباته ، فيبعضها لا يدل على مداها كلها ، وتكرار القراءة فيها ينتهي بك كل يوم إلى جديد ، فلا غنى لك عن التجربة بعد التجربة لسرير غورها والاحاطة بمداها ، والحكم عليها في جميع أحواها .

وجئني من هؤلاء العبريين الذين لا يبني ، قليلهم عن كثيرهم ، لأنهم يجمعون نفسه في قطعة واحدة ولا موضوع واحد ، فهو كثير الجوانب كثير التجزئة : الموضوع الواحد عنده لا يدل على كل موضوعاته ، والجزء الصغير لا يدل على جملة الموضوع . فكل فكرة له هي أصغر من الرجل في جميع أفكاره : كما أن اليوم الواحد في غمار أيامه هو أصغر لامحالة من سنته الثانية .

تلك إحدى الصعوبات التي تعيق عن التعريف بهذا العبرى الكبير ، وصعوبة أخرى مثلها هي بساطته وقلة احتياله في تعبيره وتجاهيفه عن التزويق والتفحيم في سياقه ، فلا اصطدام ولا ايهام ولا زخرفة وإنما هي أفكار يلقاها إليك على هيئة كلاماته على هيئة . وكلها سواء عنده في الحفاوة والخطر ؛ فلا الكبير عنده مستهول ولا الصغير مزدرى إنما هو المارد الجبار يحمل الصخرة كما يحمل الحصاة . ويمشى مائلاً أحماله وأخفها في خطوه وئيد وقوام قويم

وإذا كان بعض الكتاب يمشى إلى غرضه كما يمشى البهلوان على الجبل . أو كما يمشى اللاعب على يديه ، أو كما يمشى الراقص المترنح المتبخر أو كما يمشى الكاهن الوقور لا ينظر إلى يمنة ولا إلى يسرا ، فيجيئ ليس يعرف هذه المشى وليس يركب إلى غرضه جبراً ولا يتربع ولا يتتكلف ، بل يخيل إليك أحياناً من قلة النصب في حركاته أنه يمشي إلى غير غرض كما يمشي المتريض في ساعة فراغه . فإذا أفضيت معه إلى غايته فقد تتعب وقد تذكر المسعى ، ولكنك تشعر أنك كنت تمشي مع دليل أمين ولم تكن تتبخر



صورات منزل بسيط من الداخل

مع راقص أو تقفر مع بهوان ! وأنت بعد ومذهبك في حركات الأقدام : فالجاري على الحبل أربع ولا ريب في فنون هذه الحركات من السالك في الطريق كما يسلك سائر الخلق ؛ ولكنه بهلوان وليس كل انسان بهلوان ! ويلعب والناس لا يتبعون المشى ليلعبوا على الحال . . .

وكلمة واحدة - مع هذا - تسمعها من جيئي تنبئك أنه قد وصل إلى مدى لا يصل إليه الكثيرون . ولا يلزم أن تكون هذه الكلمة رنانة ولا موشأة ولا صاحبة ولا أنيقة ، فقد تنبئك نبأها الصحيح ولا حظ لها من رنين أو وoshi أو صخب أو أناقة يحدّثك رجل عن القاهرة ساعات متواليات ، فيسبق إلى وهمك أنه سكنها وجاس خلاها وأطال المقام فيها ، ثم ماهي الاكلمة ينزل بها لسانه حتى تعلم أن ما سمعت بحذافيره ان هو الا وصف ناقل لا وصف شاهد . وان حديث صاحبنا عن القاهرة ان هو الا حديث قارئ او مختلف من الافواه

ويقول لك غيره كلمة واحدة عن القاهرة لاستغرق الثوانى فضلا عن الساعات المتواليات ! فتجزم جزم اليقين أنها كلمة

العارف الذي زار وأقام وأطال المقام ، فهل يلزم أن تكون في هذه الكلمة بلاغة خارقة أو نبرة متكلفة أو كناية ملفوقة ؟ كلا ! بل لا يلزم حتى أن تكون صحيحة كل الصحة في معناها . إذ هناك الخطأ الذي لا يخطئه إلا من شهد واحتبر ، وهناك الخطأ الذي يقع فيه الإنسان لقلة الرؤية والاختبار . بل هناك الخطأ الذي هو أدل على المشاهدة من الصواب ، فالشرط الوحيد اذن في تلك الكلمة أن يقولها القائل بعد رؤية ومعرفة ، وفي هذا الشرط وحده قيمتها التي تربى على قيمة الأخبار المسببة يرويها لك من لمير ولم يعرف . فأنت حين تنوى أن تذهب إلى القاهرة لا تذهب إليها مع من تلا عليك تلك الأخبار وبسط لك تلك المرويات ، وإنما تذهب إليها مع من نبس بالكلمة الموجزة ذات الدلالة وان لم يكن على صواب

أن كلمات جيتي عن عالم الحقيقة لها من طراز هذه الكلمة التي لا طنين فيها ولا كلفة . فإذا سمعتها قلت « أجل ! » هذه كلمة ناظر وعارف : هذه كلمة السر التي يصطدرون عليها في ذلك المكان ، هذه « هي الأسرار المكشوفة لكل انسان ويقاد لا يراها انسان » كما قال

فنشاء أن يستدل على عبقرى كهذا بكلامه فليتريث كثيرا  
ولا يقنع بالنموذج اليسير ، فكل فكرة هنا أصغر من المفكر ،  
وكل ثمرة هنا وراءها شجرة كبيرة ووراء الشجرة حديقة  
أكبر ! وقد تدل الثمرة على شجرة واحدة حملتها . أما الحديقة بما  
وسعت فلا تدل عليها إلا ثمرات من عدةأشجار

\* \* \*

نعم نحن حيال حديقة عامرة لاشجرة واحدة : نحن حيال  
شاعر وحكيم ومصور وعارف بالموسيقى وزير وباحث في النبات  
والتشريح وطبقات الأرض والنور

وفي كل علم من هذه العلوم كان ليبحثه أثر ولرأيه قيمة ، ففي  
النبات اهتدى إلى نظرية « التحور » ورد أجزاء الشجرة المختلفة  
إلى جزئين في أساس التكوين ، وراقب النمو المطرد والنمو  
المعكوس وغيرهما من ضروب الطوارىء على حياة النبات ، والتفت  
إلى آثار العصير الغذائي الكثيف والعصير الغذائي الملطف في اختلاف  
الجذوع والأوراق والأزهار

وفي التشريح اهتدى إلى العضمة الوسطى في الفك الأعلى

التي تنبت فيها القواطع . وكان المظنون أنها لا توجد إلا في الحيوان . ورجع بتركيب الدماغ إلى الفقار في الحيوان والانسان . فكان في تقريراته هذه في علم النبات والتشريح رائداً لمذهب التطور وطليعة من طلائع العلم الحديث

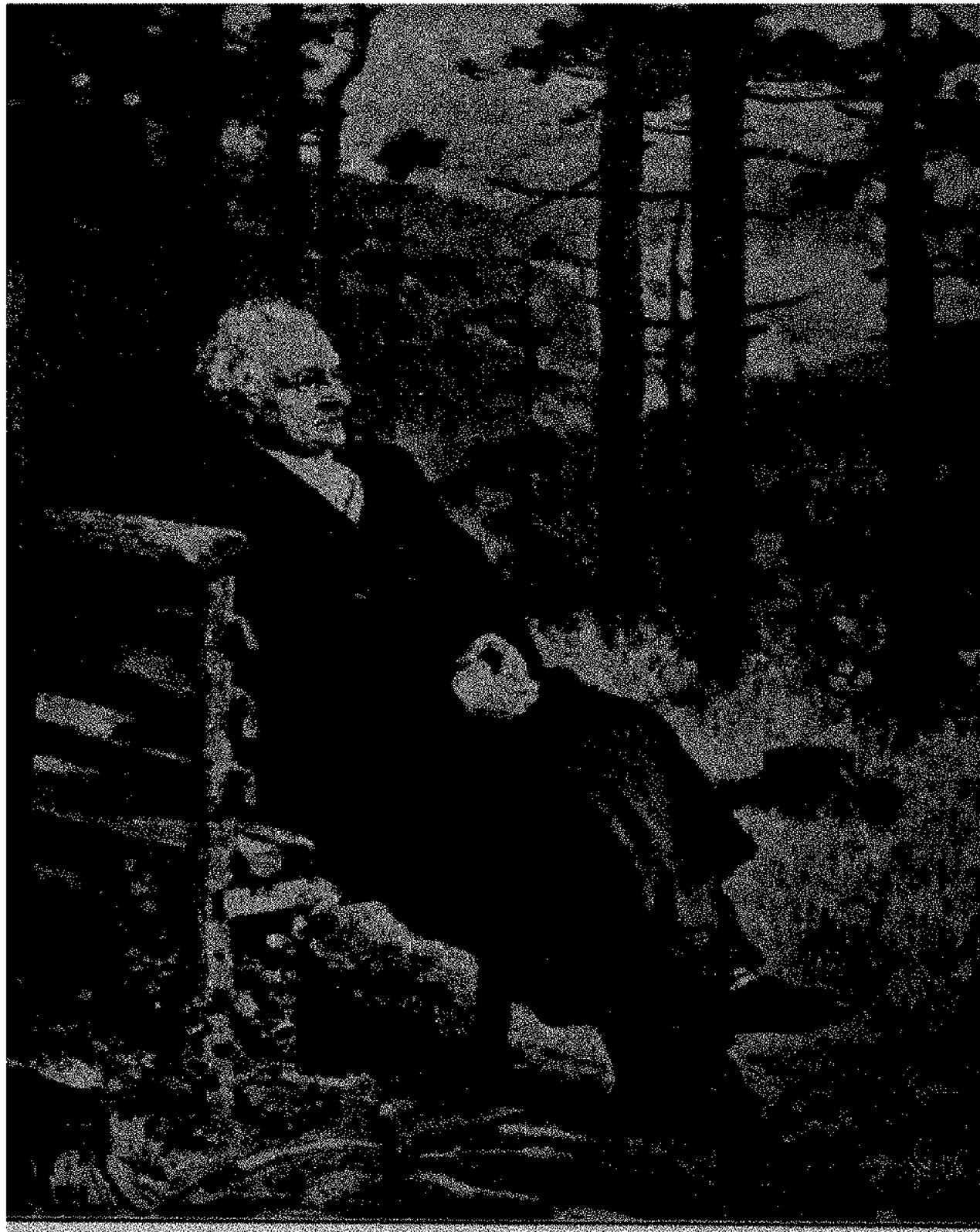
أما في طبقات الأرض فقد كان له رأى محترم في تركيب الحجارة المحبيّة والمعادن ، وكان مصراع على مناقضة نيوتن في تعليل الألوان يأبى كل الابا . أن يرتاب في بساطة النور أو يقبل التعليل القائل بتركيبيه من عدة ألوان ، وإنما الألوان عنده مزيج من النور والظلام : يكثُر فيه قسط النور ويقل قسط الظلام فهو اللون الأصفر . ويكثر فيه قسط الظلام ويقل قسط النور فهو الألون الأزرق ، ومن الأصفر والأزرق يتولد الأخضر ، ومن هذه الألوان تتولد سائر الألوان ، وكلما قارب اللون الظلام كان أثره في النفس إلى الحزن وكلما قارب النور كان أثره إلى البهجة والانشراح وقد أعرض علماء الطبيعة عن هذا الرأى ولم يأخذ به إلا نفر من غير الأخصائيين ، ولما كنه على كل حال رأى لا يستحق الازدراء وقد عرف له فضله علماء عصره وما بعده فيما عدا هذا فقال كاروس : « اتنا اذا رجعنا الى أقصى ما نستطيع في تاريخ

المجهود الذى قام بها الباحثون لادرالك فلسفة ما الترکيب الدماغ وجدى أن الفكرة الأولى عن تحور أشكال العظم وردها جمیعاً إلى شكل واحد إنما هي فكرة يرجع فضلها إلى جیني» وقال سانت هلير : « لعله لم يصدر من عشر سنوات كتاب واحد في علم وصف الأعضاء أو علم النبات خلو من وسم هذا الكاتب المشهور »

وقال هلهولتز : « ان جهود علماء النبات وعلماء الحيوان لم تزد على أن نجمع المواد والمشاهدات حتى تعلموا كيف يرتبونها على أنماط يتبيّن منها التسلسل ووحدة النسق . وهنا وجد عقل شاعرنا الكبير مجالاً يواهه وكان الوقت مؤاتياً له والممواد المجتمعة في علم النبات وعلم التحليل المقارن كافية للاستعراض الواضح . فأدخل في العلم فكرتين هاديتين تحفلان بالثار حيث كان معاصر ويهيمون على غير هدى أو يقنعون بتسجيل الواقع اليابسة »

\*\*\*

ونحن لو قصرنا النظر على كتبه في الأدب لا تسع أمامأعيننا



جي في الحديقة

فق يتراهى في كل جانب . فما من خاطرة جالت في عقل انسان  
لا كان لها مجال في عقله ، وكان له فيها رأى العارف المختبران  
يكن له فيها رأى المصيب المعصوم

و معظم اخطائه هي إخطاء النظر المستريح الى جزء واحد لا  
خطاء النظر العاجز عن التأمل والاستبانة ، أو هي اخطاء السائر الذي  
يبلغ أمده ولا يزال في طريقه لا اخطاء المحجوب عن الحقيقة بعيدها  
و قريباً ، وما شئت بعد هذا من رأى نافذ في الأخلاق والعقائد  
الاجتماع وسرائر النفس والتاريخ والفن والأمم والرجال :  
بفهم ماحوله ويشعر به ويستمر تدكت أنه لامجيد له عن الفهم  
والشعور والاستمراء ، لا كأنه يتحفظ لعمل له أو فاته ومحاولاته .  
ثم يلقي بالرأى كأنه يتنفس أو يؤدى وظيفة من وظائف حياته له  
بأدائها غبطة وارتياح ، لا كأنه ينهض بعبء أو يعالج مشقة  
مفروضة عليه ، وهذه هي الآراء التي تفيض بها كتبه وأحاديثه  
ويحتويها هو كلها ولا يتأتى لرأى منها أن يحتويه كل الاحتواء

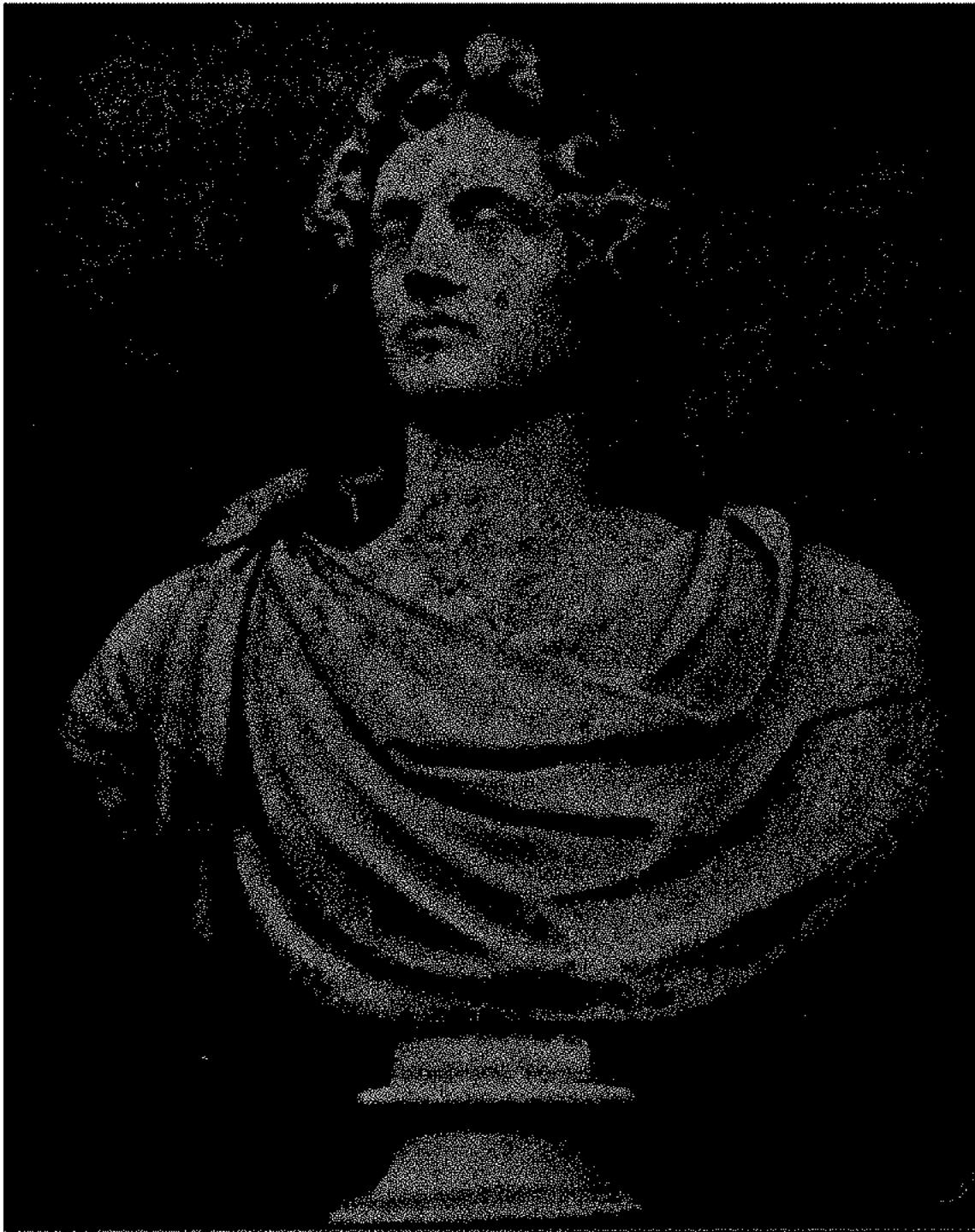
\*\*\*

على أتنا نقف هنا لنقر جوانبه المتعددة في نصايتها ولا نرسل

القول فيه على اطلاقه . فهناك أشياء لابد من العلم بها مع العلم بهذه الصفة في الشاعر . لكن نعرف نصيه هو منها ونصيب أمته وزمانه ومعيشته ، ثم نعرف التفاوت بين عقريته وبين العبريات التي اتصفت بتنوع الجوانب وسعة النطاق

فلا بد أن نذكر أن الاستبحار في العلوم خصلة عرف بها الألمان بين الأمم الأوربية ولا حظوا في تعليم الأطفال الصغار ، فكثير منهم من يجمعون بين مختلف الدراسات والفنون ولا بد أن نذكر أن القرن الثامن عشر الذي نشأ فيه جيتي لم يكن عصر أخضاء وشعب بل كان عصر احاطة واجمال وتمهيد من الاجمال إلى التفصيل . فالاشغال فيه بالفنون الكثيرة أمر غير غريب ولا سيما الفنون في طور الابتداء ، ولنلاحظ أن جيتي لم يخلق « فوست » خلقاً من الخيال وإنما كان فرست مثالاً للعالم الألماني المتأخر في القرون الوسطى ، أى قبل جيتي بأجيال ، وقد كان فوست محظياً بكل ما في عصره من علوم ولا بد أن نذكر أن أكثر الفنون التي عالجها جيتي كانت مفروضة في عمله الوزاري ولم يكن يشغلها شاغل من مطالب

المعيشة ، فوسائل البحث عنده ميسورة والوقت كذلك ميسور ،  
 بل ربما كان البحث سلواه في از جاء الفراغ  
 ولا بد أن نذكر أن طبيعة التفكير التي واجه بها تلك الآفاق  
 الواسعة هي طبيعة واحدة على تعدد الموضوعات ، فهى طبيعة  
 الفنى المتذوق المتملى الذى يستمتع بتكوين عواطفه ومعارفه كا  
 يستمتع الفنان بتكوين تمثاله . وسيلينا إلى فهم هذه العبرية أن  
 نقرن بينها وبين عبرية أخرى متعددة الجوانب واسعة الآفاق  
 يذكر اسم صاحبها مع اسم جيتي في هذه الأيام ، ونعني بها  
 عبرية " ليونارد ودافنسى " المصور الموسيقى المهندس  
 الفيلسوف الدارس للحياة وظواهر الطبيعة في كل شيء ، وهذه  
 العبرية قد جمعت طبيعة الفنان المأمور بحمل الظواهر وتعبيراتها  
 إلى طبيعة العالم المدرب على التجربة وربط الأسباب إلى طبيعة  
 الرياضى القادر على الفروض والتقديرات . أما جيتي فقد كان  
 فنيا في أدبه فنيا في علمه فنيا في فرضه ، وكان محروما من ملحة  
 الفرض الرياضى لأنه يناقض عبريته المطبوعة على فهم ما يعين  
 يديه وترك البعيد المقدر حتى يجعه إليه ، ولا ندرى ماذا كان يصنع  
 جيتي لو كان كليوناردو فقيرا يضطره البحث إلى اهمال عمله



أحد تمايل جبى فى شبابه

الذى يعيش منه ، ولكتنا ندرى أن ليوناردو كان خليقاً ان  
يصنع أضعاف ماصنع لورزق سعة الوقت ويسر الوسيلة

\* \* \*

فباحث جيـى على تعددـها تـمـت بـنـسـبـهـاـ إـلـىـ طـبـعـةـ وـاحـدـةـ ،  
وـهـىـ طـبـعـةـ العـقـرـيـةـ الـفـنـيـةـ الـذـواـقـةـ الـتـىـ تـلـتـذـ جـمـالـ الـحـاضـرـ وـتـحـيلـهـ  
إـلـىـ رـيـاضـةـ مـتـزـنـةـ وـمـحـصـولـ جـمـيلـ

وـاـذـ ذـكـرـتـ العـقـرـيـةـ الـذـواـقـةـ فـيـ صـدـ الكلـامـ عـلـىـ جـيـىـ فـلـكـ  
أـنـ تـفـهـمـ كـلـةـ الذـوقـ بـأـعـمـ الـمعـانـىـ وـأـخـصـهـ فـيـ آـنـ وـاحـدـ ،ـ فـقـدـ كـانـ  
الـرـجـلـ جـيـدـ الذـوقـ فـيـ حـسـهـ كـمـ كـانـ جـيـدـ الذـوقـ فـيـ تـفـكـيرـهـ ،ـ  
وـالـرـوـاـيـاتـ التـىـ تـنـقـلـ عـنـ جـوـدـةـ حـسـهـ تـدـهـشـ السـامـعـ وـتـعـيـدـ إـلـىـ  
الـذـاـكـرـةـ غـرـائـبـ الـاـقـدـمـيـنـ فـيـ بـعـضـ الـاـحـيـاـنـ .ـ فـنـ ذـاـكـ مـارـوـاهـ  
«ـشـوـابـ»ـ عـنـ تـمـيـزـهـ لـطـعـومـ النـيـذـ حـيـثـ قـالـ :ـ «ـأـنـ جـيـىـ لـخـبـيرـ بـالـنـيـذـ  
لـاـ يـحـارـىـ .ـ وـقـدـ شـهـدـنـاـ عـلـىـ ذـالـكـ مـثـلـ رـائـعـاـ فـيـ وـلـيـةـ عـنـدـ الـأـمـيـرـ  
كارـلـ أـوـغـسـتـ حـضـرـهـ بـعـضـ الـاـخـصـاءـ ،ـ فـبـعـدـ الفـرـاغـ مـنـ الطـعـامـ  
وارـتـشـافـ كـئـوسـ النـيـذـ الـفـاخـرـ اـسـتـأـذـنـ قـائـدـ الـبـلاـطـ مـسيـوـ  
دىـ سـيـجـلـ فـيـ اـحـضـارـ صـنـفـ مـنـ النـيـذـ دـوـنـ التـصـرـيـحـ بـاسـمـهـ .ـ بـخـاءـ

بنبيذ أحمر وعرضه على الحاضرين فترشفوه فإذا هو جد فاخر . وزعم أكثراهم انه خمر بورغونية ولكنهم لم يتفقوا على رأى في بادي الأمر . ثم عادوا الى الاجماع على هذا الرأى مارأوا كثير امن ذوى الاذواق في الفصر يجتمعون اليه يبنهم الامير . الا أن حتى ما قتى وحده ينرشف كأنه ديوان ترشيفاً يومي برأسه ايام دانكار ، ثم وضع الكأس فارغة على المائدة وهو يراجع نفسه . فقتل قائد البلاط : يلوح لـ أن صاحب السعادة يرى غير هذا فهل أجسر على سؤاله من أى الأصناف هذا النبيذ ؟ فأجاب جيتي : أنت أجهله ، ولكنني لا أحسبه من خمر بورغونية . إنما أرجح انه من خمرينا معصورة من اختيار شتى متقاتلة لشت زمان في دن تمرة مديرية . وكانت هذه هي الحقيقة .

والروايات الأخرى التي تروى عن جودة سمعه منذ طفولته تدل كذلك على تبييز نادر للاصوات والانسجام . فقد كان في صباه الباكر يحيى أصوات الممثلين والمعنىين ويدرك ب سور الشعرو يقيم أوزانه ، وكانت قدرته على الصياغة العذبة في جميع أيامه فوق كل قدرة عرفت بين شعراء الألمان الا من ندر ، حتى قال شيلر قرينه

ورصيفه أتنا نعنى أنفسنا بصوغ الأناشيد وجيتى لا يتكلف لها  
الا كما تهز الشجرة فتساقط الرطب الجنى

فهذه الطبيعة الذواقة التي تتمل ما بين يديها لحظة لحظه هي  
طبيعة جيتى الشاعر وجيتي المفكرو جيتى العالم وجيتى الفيلسوف ،  
وهي التي تتجل في كشووفه العلمية كما تتجل في أناشيده وأغانبه ،  
فليس هنا الا ملکة واحدة تدير نفسها على نواحي كثيرة .  
وهي نعم ملکة نادرة في قدرتها ونفاذها واتساعها ولكنها بعد  
ملکة واحدة تتجل بعينها في كل مقام

والا فما هو تحور النبات وتطور العظام ان لم يكن هو العناية  
بالجزء بعد الجزء والقول بأن المجموع لا يدرس الا في الأجزاء  
وان دراسة الجزء المحدود تلهمنا العلم بالكل الذي لا ينـ له من  
حيث زـيد او لا زـيد ؟

وما هو الاصرار على بساطة النور وكراهة الآلات التي  
تدخل بين العين والمرئيات ان لم يكن هو تقديس الفنان "نور"  
وجهه لاستجلاء الجمال في مشهد العين بغير وساطة من منظار  
أو موشور ؟

لقد كان جيتى لا يمل القول بكفاية « الظواهر الطبيعية »



أحد تماثيل جيبي في شيخوخته

وقلة الحاجة الى التعمق فيما وراءها . فكان يقول : « أعلى تجارت الانسان الروعة . فاذا كانت الظواهر الطبيعية تروعه فدعه يقنع بها . فهو لن يسمو عليها ولا ينبغي أن يذهب وراء هذه التجربة » وكان يقول : « يجب ألا نحاول النفاذ الى ما وراء الظواهر فهى في ذاتها الدرس المطلوب » . وكان أبداً يعجب للذين ينقبون عن الأسرار الخفية والظواهر المكشوقة كلها أسرار تناديهم فلا يلتفتون ، فهل هذا إلا كلام فنان يأبى أن يزاول العلم والفلسفة الا مزاولة طلاق الروعة والجمال ؟

يلى ! وخلاصة درسه كله ما قال في هذه الآيات : « كأى من سنته أطلق فيها فكرى بين الاستجلاء والدرس يتعمق ويتفقه كيف تعيش الطبيعة في خلافها . فهى الواحد الحالدى يتكرر في الكثرة المفرقة . فصغير ما هو عظيم ، وعظيم ما هو صغير ، وكل شيء على منواله يتبدل أبداً ولا ينى أبداً يزاوج بين البعيد والقريب وبين القريب والبعيد ، ويتحذله صورة ثم ينسخ هذه الصورة . ما أحسني اصنع هنا إلا ان أرائع وأعجب بما أرآه ! »

أجل ! ما كان لجتى في هذه الدنيا من عمل إلا أن يرائع

ويعجب . وان كل مافيه من سخر باسم خفي لن ينقض ذرة من صرح اعجابه الفخم العميم ، لأنه سخر من عرف كثيراً وشعر كثيراً وأعجب كثيراً الاسخر من لم يعرف ولم يشعر ولم يدر ما الاعجاب . وقد كان اعجابه هذا عملاً جيلاً ولم يكن لغواً ذاهباً في الهواء : كان عملاً قوامه الدرس ورياضة النفس والاقبال عليها بالتشقيق والتحسين ، وكان سببـه إلى فهم شيء و الشعور به أن يعمله ويعيش فيه . فالعمل طريق المعرفة والتجميل : والحياة لا تكون إلا تفكيراً يعقبه عمل و عمل يعقبه تفكير كما يتراقب الشهيق والزفير ! هكذا كان يقول في كتبـه وأحاديثـه . وهكذا كان يسأل في رواية فوست : ما معنى آية الانجـيل « في البدـء كانت الكلمة » ؟ هل معناها في البدـء كانت الفكرة ؟ هل معناها في البدـء كان العمل ؟ ونـالـى هنا انتـهى السـؤـال

\*\*\*

لابد أن نذكر كل ما تقدم لنعلم كنه هذه العبرية وكنه وصفها بالسعة وتعدد الجوانب ، فهي عبرية فنية قبل كل شيء ، وهي بعد فنية عملية قابلة للتطبيق والبروز — فلا تفارق الأرض

وان طمحت الى أرفع المعانى ، وهى فى هذا كله عبقرية مستجيبة تتلقى وتنظر وليس بالعبقرية الطاغية التى تصول وتعجل ، ففى موضوعات جيئ اجادة كثيرة وليس فيها اختراع كثير

وستعيش آراء جيئ العلمية فى مراجع البحث وسجلات العلماء ولا يعيش هو الا فى عالم الشعر بل فى عالم الغناء ، لانه شاعر الأغانى غير مدافع ، فليس للشاعر الغنائى ملكة مطلوبه الا وهى فيه على حظ وافر : وحسبه فى هذا حلاوة النغم وبلاغة اللفظ وسهولة التعبير وقلة التكلف التى هى طبع فى خلائقه وطبع فى ادائه ، أما غير ذلك من الملكات فله فيها مدافعون ومنازعون ، إذ ليس فى آرائه العلمية رأى واحد إلا وله شريك يناظره السبق اليه ، فان « فيك دازير » قد أعلن كشف العظمة الفكيرية فى بجمع العلوم بباريس قبل جيئ بخمس سنوات ، ولينيس سبقه الى رأى صائب فى تحور النبات : و « أوكن » سبقه الى رأى فى تركيب الدماغ من الفقرىات وهو رأى لا يسلمه الان جميع العلماء ، وأفلاطون وأرسطو وليونارد ودافتشى كانوا يقولون بأن اللون مزيج من النور والظلمام وهم وجئى فى هذا

القول مخطئون ، واياً كان علم جيتي بهذه الكشوف أو جهله بها قبل اهتدائه اليها فالفضل فيها منازع ومكانه بين العلماء لوسائل له بغير نزاع لا يرتفق الى مكان العلية والافذاذ

كذلك الشعر لا يسلم له فيه الافضل الغناء وحلاؤة الصياغة ، فرواياته التمثيلية ستنسى في عالم التمثيل وترجع الى أصلها أغاني متفرقات وقصائد وكلمات ، و اذا مثلت يوماً كما كانت تمثل من قبل فعل سهل الذكر والاستطلاع والتفرج بالنظر إلى الآثار . أما أناشيده ورسائله وأشجاره الرومانية وأساطيره المنظومة وكل ما هو في كتاباته من قبيل الغناء فله حظ البقاء وبه يقترن اسمه بين خواص الأسماء قال هيئي سيد الفكاهة والنقد الطريف بين كتاب الغرب أجمعين : « نحن أربع شعراء الغناء في العالم ، فليس لأمة أن تفخر بشعر في الغناء كشعر الألمان . وان الامم لنفي شغل الان بقضاياها السياسية عن كل شاغل ، فإذا جاء يوم طرحت فيه هذه القضايا جانبنا فيومئذ نذهب جميعاً الى الغاب : نذهب كلنا من ألمان وبريطان وأندلسيين وفرنسيين وطليان الى الغاب الخضراء ونغنى هناك وندع الحكم للبلبل . وعلى يقين أنا ان

أغاريد ولفحانج جيتي ستخرج بالحائزه من هذه المباراة الشادية»

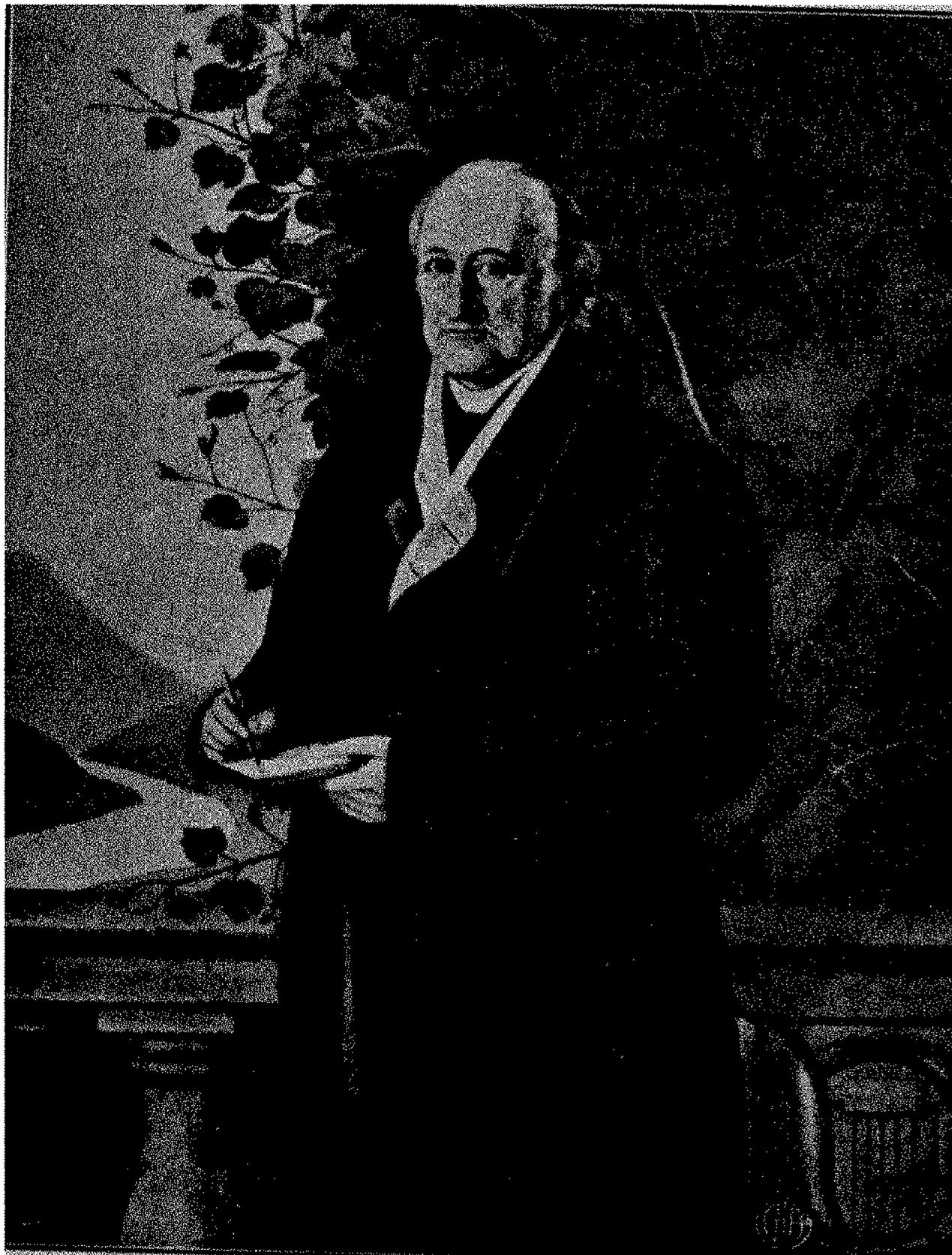
\* \* \*

والآن فلنستمع إلى الرأى الوحيد في جيتي الذى لا يقول به اليوم أحد فى العالم ، وذلك هو رأى جيتي فى نفسه . . . ! فهو الرأى الوحيد الذى يستحق كل رفض ولا يستحق أى قبول كان جيتي الى الرابعة والعشرين من عمره لا يستقر على رأى فى كنه عبقريته . فلما برح « قتزلار » يائسان حب شارلوت مضى على النهر يطيل محاسبة نفسه ويفكر فى حاضره ومستقبله ، فلاح له منظر يخالب قريحة الشاعر ويغرس ريشة المصور . نظر له أن يسأل نفسه أى مصور هو ألم لا مستقبل له فى التصوير ؟ ثم خطر له أن يستشير القدر على مثال الأقدمين . فاخرج من جيئه مبرأة وقال لنفسه : اذا أنا رأيتها وهى تهوى إلى النهر فانا فنان ، واذا هى غابت عن نظرى وراء الصفاصاف فلست بذلك ، ثم قذف بها بخاوه الجواب لا الى النفي ولا الى الايثبات ، واذا بالمبرأة تقع أولا وراء الصفاصاف ثم يثبت بها الماء فيراها بملء عينيه !

كان هذا ظنه بنفسه أيام الشباب ، فلما شاخت واستوى على

ذروة الشهرة الأدبية قال لصاحبه ا كرمان : « اتنى لا أأعول  
كثيراً على ما بلغت في الشعر ، فقد نبغ في زماننا شعراء عظام  
وبسبقنا وسليحق بنا شعراء أعظم ، ولكنني اذا نظرت الى أتنى  
— في هذا القرن — كنت الفرد الوحيد الذى عرف الصواب  
من الخطأ في علم الألوان العويس الفيتى خورا وعرفت رجحاني  
على الكثيرين »

ونحن ننقل هذا الرأى لأنه حكمة طيبة في الحياة لا لأنه حكم  
طيب في الادب ، فحيثى ينسى أخلد ما فيه ويفخر بأفشل ما فيه :  
ينسى الشعر ويفخر بالعلم ، ثم لايفخر من العلم إلا بما باه فيه  
فشله ووضع فيه خطله . فلو أنه خفر بآرائه في النبات أو التشريح  
لصدق خفره وظهر عذرها ، ولكنه يزهى برأيه في الألوان  
وهو أضعف الآراء وأدنها إلى الدثار والفناء : الحق ان  
الإنسان لا يحسن الأمانة لنفسه ولو كان من الحكماء !



جيـٰ فـِ مـَلـَـبـِـسـِ الـِـدـِـيــوــانـِ

## شخصية جيبي

كان جيبي ربعة يميل إلى السمرة على خلاف أهل الشمال ، وثيق البنيان مهيب الطلعة : أهيب ما في وجهه عيناه الدعجاوان اللتان تشبهان عيون أهل الجنوب ، ولم تحفظ عين جمالها وسلامة نظرها كما حفظتها هاتان العينان . وصفهما شيلر في خطاب إلى صديقه كورنر فقال إنهم تفيضان بالمعنى والحياة على ما في وجهه من وصاد ، وكان جيبي يومئذ في نحو الأربعين . ووصفهما ثاكرى الأديب الانجليزى المشهور فقال إننى شعرت بالخوف حين رأيت تينك العينين ! وكان جيبي يومئذ فى الثانية والثمانين ووصفهما ريختر بين هذا وذاك فقال إنهم كرتان من النور !

وكانت له بنية عامة وجسد صلب حسن الهندا منمشوق القوام ولاسيما في سن الشباب . مع أنه ولد هزيلا مشكوكا في حياته وعاش شديد الحس والتنهى إلى يوم عاشه . وأصلابته هذه استطاع أن يكافح النزيف الرئوى الذى اعترافه في أيام الطلب بمدينة ليزج وعاوده المرة بعد المرة في الكهولة والهرم . فصينت له الصحة واعتدى المزاج في معظم أيام الحياة .

وقد بدأ رياضة النفس وتربيتها على الصبر والاتزان ومعالجة النزوات وثورات الشعور وهو في عنفوان الفتولة لم يبلغ الرابعة والعشرين . فلما رأى من نفسه فرط التأذى بالأصوات الصادعة والروائح الساطعة تعمد أن يقف طويلاً إلى جانب الطبول الداوية والأجراس العالية ليروض أذنيه على أشد الأصوات وأثقل المزججات ، وتعمد كذلك أن يصعد إلى القمم الشاهقة ويطل على الأرض من على لیغالب الدوار حتى تغلب عليه ، ومع هذا عاش طول عمره يكره الرائحة القوية ويتآذى بها شديداً ولا سيما رائحة التبغ والثوم . فقد كان يضرب المثل بالثوم لكل ذي به حتى العقائد والأراء ! وارادت زوجه مرات أن تربى بعض الخنازير إلى جانب البيت فاشتم رائحتها واستوبلها وهي غير قريبة منه ، وأمر باقصائها على الفور

وانصرفت نيته إلى اجتناب ثورات الشعور ومعالجة الألم والغضب فأفلح واستولى على أزمة نفسه بعد رعونة الشباب العارضة ، وكثيراً ما كان يجني عليه كضم الشعور وانخفاض الألم فيسقمه وينال من عافيتها ، كما حدث في وفاة ابنه الوحيد بعد أن جاوز الأربعين ، فإنه لم يزد عند سماع الخبر على أن نضحت

عيناه بالدموع لحظة ثم سكن ولاذ بالصمت والجمود ، وما هي إلا أيام حتى اعتراه نزيف كاد يرديه  
وكان همه الأكبر من تربية النفس أن يعيش على سنة  
القصد والاتزان أمينا في ذلك على اعجابه واقتدائة بقدماء  
اليونان ، قتم له ما كان يصبو إليه وظهر القصد في معيشته كما ظهر  
في تفكيره ، فلا إسراف في رأى ولا إسراف في متعة ، ولا  
جور من جانب الخيال على الحس ولا من جانب الحس على  
الخيال . ولا غلو في إنكار الجسد ولا غلو في ارضائه : بل كل  
عمل وكل رغبة بحسب وميزان

ولم يكن جيتي يتخرج من المزاح والفكاهة في شبابه ،  
فكان حبيبا إلى أطفال كل بيت يزوره لتفنته في اختراع  
الألاعيب والأضاحيك ، ووصف الكاتب الألماني جان غليوم  
جليم منظرا من مناظر دعابته شهدته عند الدوقة «أميلي» أم الأمير في  
سنة ١٧٧٧ أي حين كان جيتي في الثامنة والعشرين ، وكان جليم يتلو  
على الحاضرين شذرات في تقويم أدبي يسمى تقويم عرائس الفنون ،  
فاستأذنه جيتي في الترفيه عنه وتناول التقويم ليقرأ منه ، فقرأ قليلا  
ثم أخذ يرتجل المقطوعات من حاضر ما ينظم أو قد يه في الدعابات

والمفارقات وهو يتظاهر بالتلاوة في التقويم والحاضرون يعجبون ولا يصدقون ما يسمون، حتى فطعوا إلى الحيلة فأغربوه في الضحك واستطابوا الفكاهة . فقال جليم للشاعر فيلاند الذي كان يجلس أمامه : « إن هذا هو جيتي أو الشيطان بعينه » فقال فيلاند « هما معا ! لأنه في يوم من أيامه التي يملأه فيها الشيطان »

هكذا كان في بعض أوقات شبابه ، ولكنها انتصرت بذلك بمحفوظة باردة تخيل إلى من يراه أنه ليس من بني الإنسان . وجعل لا يتحدث ولا يخف إلى حديث غير الحفائر والظامان وما إليها . حتى قال ريختر أصاحبه الذي عرفه إليه : الا تتحجرني أو تكسوني بغشاء المحافير على أروقه : وقالت أريليك فون لفتروف أنها لو عرفت فيه جيتي العظيم لوضيت به زوجا ولو من أجل الزهو والكبرياء ، ولكنها لم تر الا شيخاً لا يبني يتكلم عن النجوم والنجارة والأزهار . . . فلم تصغ إليه ، واريليك هذه هي الفتاة التي أحبتها وهو في الرابعة والسبعين

ولما زاره هيئي قال في فكاهته المعتادة : « انتى نظرت حوله على غير اختيار مني لعل أرى إلى جانبه نسر جويتير - كبير أرباب اليونان -

الذى يحمل الصاعقة فى منقاره . و هممت أن أخاطبه بالأغريقية  
لولا أننى أدركت أنه يفهم الألمانية ! » . و وصف الكاتب  
الروسى الحديث مرجكسكى هذه الجفوة الباردة فى محضر  
جىتى فقال إنه ليشبه تماثيله الرخامية تمامًا !

ولو وقف الأمر عند هذا البرود فى محضره لكان ولم يكن  
فيه على الرجل كثیر ملام . إنما الملام الأكبر أن تبحث في  
تاريخه عن صلة حية بينه وبين بني الإنسان فى ذلك العصر الفوار  
بالحوادث الإنسانية فلاتجد ، فقد عکف على نفسه لا يعني بغير  
ما يعنيها لتوه و ساعته ولا يكلفها جهدا للخوض في هذا الغار ولو  
من قبيل التفكير والغيرة من بعيد ، وكانت أمم العالم تعج بالخطوب  
وتعتلج بالأمال والآلام وهو قابع وراء أسوار نفسه لا يرى بها  
ولا يطيل منها اطلالة عطف أو اهتمام . و شهد يوما شجارا بين  
الخدم والخدوذية فكتب في مذكرته « إن هذا الشجار قد حركه  
فوق ما حركته تجزئة الدولة المقدسة ! » و دخل عليه اكرمان  
وقد سمع بأنباء ثورة يوليو الفرنسية فقصد أن يزوره ويتحدث  
إليه، فبادره جىتى عند دخوله قائلا : « آه . حسن ! مارأيك

في هذا النبأ العظيم . لقد أرسل البركان حمه واحتفلت النار في كل شيء . ولنست هذه بعد محاضرة في حجرة مسورة . فقال اكرمان : انه الحادث مرعب . ولكن ماذا يتوقع من وزارة كتكلك إلا أن يقول الأمر إلى نقى الأسرة المالكة ؟ فعجب جيسي وقال له وكأنه يتهمك : يا صديق العزيز جدا ! يلوح لي أنا لاتتفاهم . فما عن هذا تكلمت وإنما أتكلم عن أمر آخر . إنما أتكلم عن البحوث التي بدأت بين كوفيه وجفرى سانت هيلير في جلسة المجمع العامة » يشير إلى بحوث هذين العالمين في أصل الأنواع

وقد اضطررت البلاد الجرمانية بالثورة على نابليون فكان هو في جانب القوة بسخر بهذه التخوة ويقول للأدباء الناشئين الذين تقلدوا السلاح : « لا تقعوا بسلامكم فان الرجل كبير عليكم ! ». وتكلم أمامه أنس في القائد ولنجتون بجعل ير حض عنه وينتهي عليه لأنه يفما كان هو قاهر نابليون وغالب الهند . وقال : « كل من كانت معه القوة العليا فالحق معه ... وعلينا نحن أن نحن له الرؤوس ! ولا مه الناس على جموده في ابان النهضة الوطنية فكان

يقول : «انها لديها سخيفة لا تعرف ماتروم ولا حيلة معها الا ان  
ندعها تلغو كما تشاء . فكيف كنت تراني أحمل السلاح بغير  
بغضاه ؟ ومن أين لي بالبغضاء في غير شباب ؟ لو حدثت هذه



W. v. Goethe

P  
n. 9 Nature  
gezeichnet 1832

على سرير الموت

الامورى وأنا فى العشرين لما كنت آخر من يهرب ويهيب . ولكنها حدثت وأنا قد جاوزت الستين . . . وفيما يبني ويبنك أنا لأبغض الفرنسيين وان كنت حمدت الله حين خلصت منهم البلاد» وليس قول جىنى هذا الا احتجاج محرج لا يدرى ما يقول ، والا فكيف عرف أن يحب الفتاة الحسنة ويخطبها للزواج فى الرابعة والسبعين ولم يعرف أن يغضض أعداء بلاده فى الستين ؟ وهل كان شأنه فى هموم الألم وآلام المظلومين يوم جاوز الستين الا كشأنه فيها وهو دون الخمسين ودون الأربعين ؟

لقد قارن ماتسیني بطل ايطاليا الوطنى وقد يسمى بين جىنى وبيرون في هذه الخصلة فقال : « وقف يوما على قرية سويسرية أراقب العاصفة وهي تقترب وتوذن بالهبوب . وفي السماء غيوم كثيفات سود تذهب حواشىها أشعة الاصليل ويطبقن سراعا على أصافى سماء في جو أوربا ماخلا جو ايطاليا الجميل . وكان الرعد يقصصف من بعيد وأمواج الرياح القارسة تقذف بالملطري الغزير على السهل الظمى » .

« وأنظر فوق فإذا بياز كبير من بزاة الألب يعلو تارة  
ويهبط أخرى وهو يقتحم العاصفة في كبة الرياح الموج  
كأنما كان يهجم عليها هجمة القريرع على القريرع ، وكلما جلجل  
الرعد جد الطائر النيل في العلو كانوا يجحده و يتهدأه . فظللت  
أتبعه بنظري برهة حتى غاب في ناحية الشرق عن العيان

« ثم نظرت الى الأرض على نحو خمسين خطوة مني فإذا  
بالطائر أبي حديج قابع هناك على هيئة واستقرار بين حرب  
العناظ الزبون ، ورأيته مرتين أو ثلاثة يرفع رأسه قبل مهب  
الريح بهيبة لا توصف من الاستطلاع الضعيف وقلة الاكتراش !!  
ثم أعرض عن هذا ورفع احدى ساقيه النحيلتين وزوى  
رأسه تحت جناحه وتهيأ للنعاشر في هيئة واستقرار

« ذكرت بيرون وجنتي حينذاك وذكرت حياة أحدهما  
تموج بالزعزع وحياة الآخر تغمرها السكينة والسلام ،  
وذكرت اليهوديين الباقيين الذين ختم عليهم واستنفذهما هذان  
الشاعران »

ذلك أصدق تصوير لشاعرين كبيرين من طينتين جد

مختلفتين . وأنصار جيتي الغيورون على شهرته يشعرون بهذه النقيصة فيه فيتعملون لسترها بالمعاذير ، وقد يسخف بعضهم فينقلب من تلمس الأعذار لها الى اعتبارها مزية تستوجب الثناء !! لأنها علامة الرفعة عن هموم الحياة الصغرى وشواغل الجماهير والعلو بالفكر الى أفق أكمل من ذلك وأكرم وهو أفق الجمال والمعنى الخالدة والعزلة الالهية ، ولوصح أن الترفع عن هموم الجماهير مزية تحمد لجاز أن يحمل برود جيتي على ذلك المحمل وأن يجزي عليه بالثناء والاعجاب . ولكنه غير صحيح ولا قريب من الصحة ، فان من فاته الشعور بآلام بني الإنسان وبشاشة الظلم فقد فاته شعور الصدق وفاته شعور الخير وكلامها عنصران من عناصر الشعور الجميل ، واذا كان تمثيل الشقاء في الصورة الفنية عملا جيلا فليس الشعور بالشقاء والعطف على الأشقياء بالعمل القبيح .

وهب ما يقولون صالحًا لتفصير الفتور في احساس جيتي بسائل الامم فهل هو صاحب لتفصير فتوره في علاقاته مع الأفراد وعوده عن البر حتى حين يكون البر واجبا يفرضه الولاء

للعصرية والمرودة؟ لقد استغاث به بيتهوفن في محتته وكتب اليه يقول وهو يظن أنه يغض من عزة نفسه بين يدي انسان يفتقه معنى العزة والعصرية: «الحق أنت كتبت كثيراً في الموسيقى - ولكنني لم أجده شيئاً. ولست الآن وحيداً لأنني أصبحت من سنوات سنتين ابن أخي الفقيد... كلمات قليلة منك تسعذني». فماذا كان جواب جيتي لتوسل ذلك الشيخ المعذب المحروم؟ ولا كلمة! أصدق القاريء؟ نعم ولا كلمة...! وقد أعتذر بعضهم عن جيتي بمرضه يوم وصول الخطاب إليه، فإن كان هذا عذراً فماذا كان عذرها بعد ذلك بأيام أو بأسابيع أو بأشهر؟ لا عذر هنا يجوز فيه الكلام.

وكتب اليه «فويت» صديقه وزميله في الديوان وهو على فراش الموت يقول له: «... أردت أن أكتب إليك هذه الكلمة الأخيرة وفي رقم... آه يا عزيزى جيتي... ولكننا سنعيش معاً في عالم الروح...» فماذا صنع العزيز جيتي بهذه الدعوة المتوجة إليه من صديق يسلم الروح وينتظر الموت ساعة بعد ساعة؟ لم يث بوما لا يجحب. ثم أرسل إليه ورقة مع خادم! وما كانت دار صديقه المختضر إلا على قاب خطوات

(١٦١)

من بيته ، فما زاد كأن يضيره لولي أمنيته الأخيرة وذهب إليه ؟  
لا ضير . وما نظن مثل هذه الخلة مما يرضي به ذوق جميل  
وقس على ذلك علاقاته بهردروشيلر وكلاهما ذوي درء عليه في  
تنبيه واستنهاضه ، فما كانت علاقاته بهما تخلو من ملامه وقصصه ؟  
بل قس على ذلك علاقاته بكل انسان حتى أمه وأبيه وأولياء نعمته  
وأقرب الناس إليه

فهو رجل واضح الأثر لم يزعج نفسه قط لخطب فرد ولا خطب  
أمة ، ولم يخفق قلبه خفوق الايثار برحمة ولا حبة . وغرامه بالنساء  
الكثيرات لا ينفي بذلك بل يؤيد ويشجع عليه . فانه كان غرام فن  
وريادة ولم يكن غرام مودة وحياة ، وأى فضل للإنسان في أن ينشد  
المتعة والسلوى والسرور ؟ وأى غرابة في حب الرجل للمرأة وهي  
ألف خلق لالفه ، وانسان آخر بينها وبين الرجل عطف وليس  
بينها وبينه منافسة ولا سباق ؟ هنا يستفيد الرجل ويضم إليه إنسانا  
يتسممه ، ولا يخشى على أثره من ذلك الانسان

ومع هذا كان جيتي يهرب من الحب كلما كلفه بعض العناء ، وكانت  
بغيته في الحب «الحضرور» كما قال وأعاد . فمن غاب عن عينه فليس

حيوانات منزل جنبي من الداخل



بحاضر في قلبه ولا يلبيث أن يحججه النسيان ، ومثل هذا الحب الذي أحبه جيتي ولم يعرف سواه لا ينفي الأثرة وانقطاع أو اصر المودة والرحم بينه وبين بنى آدم

بل لعلنا لأنخطى . اذا قلنا انه كان فردية حتى فيها أحب من الحيوان ، فما آثر القطط على الكلاب الا لأن القطط فردية جافية والكلاب فيها عطف والفة !

وأكبر الظن أن جيتي ورث هذه الخلطة وراثة عن أبيه ثم نمت مع الزمن فيه ، فقد روت لنا « بتينا برتناو » نقلًا عن أمها أنه لما كان صبياً صغيراً مات أخوه ورفيقه في المعب « جاك » فلم يذرف عليه دمعة وامتنع من بكاء أهله ، ولما سأله أمها : أما كان يحب أخيه؟ جرى إلى حجرته وجاءها بأوراق فيها رسوم ونوادر كان قد أعدها لتعليم أخيه حين يكبر ! فكانه لم يحب من أخيه في تلك السن الصغيرة الا موضوع فن وترية ! فهذه الخواتيم من تلك البوادر - ويزيدها أن جيتي قد عوفى من شدائد العيش وحرقات الحميات وأحوال التجارب ففتر ما بينه وبين الناس من حرارة العطف والولاء وقيادة الألم والعزاء ، ولنرجع هنا الى ما كتبناه في صدر هذه الرسالة

عن النفس الالمانية وحقيقة شعورها بالوطنية والجماعية القومية ، ففي ذلك تفسير لفتور الوطنية في قلب جيتي وعذر له من تلك النقيصة التي لامراء فيها ، إذ كان في الدعوة الجرمانية شيء ينافي الوطنية في بعض الأحيان ، لأنها توشك أن تقضي على استقلال الدوليات والأمارات الصغار ، وإذا كان جيتي مندوحة من شواغله الأدبية عن مصادمة الواقع ومعاناة المظالم ، وكان منصبه ينأى به عن ذلك ولو لم تكن له شواغل أخرى تصرفه وتلهيه

ولا ننس بعد هيبة الألمان للمناصب الكبار في القرن الثامن عشر ووراثة جيتي هذه الهيئة عن أبيه . ثم هاهوذا قد تسلّم تلك المناصب وارتفع إلى مراتب النبلاء ، فهل يسير عليه أن يستخف بها ويفقه دعوة الحرية كما يفقها رجل لا تغشى بصره غاشية هذه الهيئة ولا تجرى في عروقه دماء تلك الوراثة ؟ ثم حب الراحة الذي فطر صاحبنا عليه ماذا يصنع به وكيف ينفعه عنه ؟ وكيف يسارع إلى عقيدة تحفذه إلى الكدح والجهد وليس له طاقة بهما ولا عهد له باختبارهما من قديم ؟ !

وإذا صع « توصيف » الباحثين لمرض جيتي في شبابه (١) واستدلا لهم عليه باعراضه التي وردت في رسائله وكتبه و: كان بعد ذلك من موت أولاده فمن شأن هذا المرض في أغذ الأجان ان بضعف العطف ويدخل الجفوة على الطياع هذه معاذير نسوقها لأنصاف ذلك العبرى الكبير وتصوير على جليته بغير إجحاف ، ولكتنا لأنعرف بينها عذرًا هو أوج من حب الراحة أو السكون الذى فطر عليه ولا حيلة له فيه . فما كان جيتي لم يكبح لغيره فهو لم يكبح لنفسه ، وإن كان قد أحجم عن تدبير الخيرات فهو قد أحجم كذلك عن تدبير الشر و لقد قال مرة أنه يلمح القاتل فى أعماق ذئبته ، وما من فناء إلا وهو مستطيع أن يقول ذلك على معنى التصوير الفنى لامعنى الأجرام . فإنه مطالب على الأقل بأن ينتزع من شخصه كل شيخوخة خياله ، فعلى هذا الاعتبار كان جيتي يضم الشر ويلمحه فى أعماقه ، أما أن يقارب الشر وينصب لتدبيره فيه وبين ذلك حائل

راجم كتاب تربية جيتي العاطفة

L' Education Sentimentale de Goethe

صفحة ١٩١ و ٢٥١ لمؤلفه روبرت داركور

## طبع ، وحائل الكياسة

فكل ما يؤخذ على جيبي من تقىصة فهو تقىصة فية بالمعنى الذى المعنا إليه أو تقىصة المطاوع المستجيب الذى لا يجاهد في مكافحة المغريات . وفي هذه الضرورة شفيع ! وفي العبرية شفيع آخر . فإن أثرة العبرى الكبير أثرة إنسانية تعنى الناس جميعا لأنها تشتعل بكل ما يعني بني الإنسان ، فعسى أن ينفعه هذان الشفيعان .

---

## عَقِيرَةُ جِيَّنِي وَأَرَاؤُهُ

من عرف صفات جيتي وخصائص عبقريته لم يصعب عليه أن يعرف عقيدته في الدين وأراءه في الأخلاق والاجتماع والسياسة . ألم يصعب عليه أن يعرف الأشياء التي يمكن أن تنطوي عليها تلك العقيدة والأشياء التي لا يمكن أن تنطوي عليها، فانما عقيدته وأرأوه خلاصة من صفاته وخصائص عبقريته ، وهو كان رجلاً يأبى الجهد ويكره أن يزعج نفسه ، وكانت له عبقرية مستجيبة مستسلمة تأخذ الدنيا جزءاً جزءاً كما يأخذها الفنان الذي يتملى جمالها وشعور بها ويجد في ظواهرها الكفاية لحبها وتعظيمها . فعقائده لن تخرج عن هذه الصفات ولا عن هذه الخصائص ، وكل ما هو عويس أو مجهد أو بعيد عن طريق الفن والجمال فلك أن تستثنيه من آراء جيتي في جميع الشؤون ، وأنت مطمئن إلى ذلك كل الاطمئنان

وقد قلنا أن جيتي صاحب عبقرية متعددة الجوانب ولكنها تؤل كلها إلى طبيعة واحدة . فما يؤيد ذلك ولا ريب أنك تعرف عقائده من صفاته وجملة أفكاره . فان الجوانب المتعددة التي

ترجع الى معادن متعددة تستعصى على مثل هذا التقدير ولا يغنىك العلم بالكثير منها عن العلم بيسير ، إذ ربما كانت عقيدة صاحبها مناقضة لأخلاقه أو لفكره أو لمزاجه ، أما في جيتي فالجواب مختلف ما تختلف الآفاق تتسع ما تسع ولكنها لا تشذ أبدا عن تلك الطبيعة الواحدة التي أجملناها في الكلام على عقريته وأخلاقه

\*\*\*

جيتي مؤمن بالله مسلم بالقدر : « ان الله أحكم منا وأقدر ، فله أن يتصرف بنا كما يشاء »

هذا هو النسلم بالقدرة الكبرى والحكمة الالهية في الوجود وللقدرة الالهية دلائل كثيرة يلتمسها الباحثون في أخفي نواحي البحث وأظهرها ويعبرون إليها بحارا من الفلسفة والتصوف لا يسهل عبورها . فاما جيتي فتلق أنه لا يغوص على إيمانه ولا يركب إليه المراكب العصبية ، فحسبه الجمال في العالم دليلا على الجبلة الالهية فيه وفيما ، أو كما قال لصديقه مولر : « أن القدرة على تجميل الحسن وبث الحياة في المادة الصماء بتزويجها من الفكر

لهى أقوى حجية على فطرتنا العلوية » والدين عنده لا يكون الا واحدا من اثنين : « فأما دين يعرف القدس ويعبده حيث يتراهى فيها حولنا بغير شكل ولا قلب ، وأما دين يعرف القدس ويعبده حيث يتراهى في أجمل الأشكال والقوالب ، وكل ما بين هذا وذاك فهو وثنية وجحالة ». ومادمنا نشعر بالجمال حولنا فنحن نشعر بالقدرة الالهية في العالم وفي أنفسنا معا . قال كيلر : « أمنيتى أن أدرك الله في عالمي الداخلى كما أدركه في كل مكان من العالم الخارجى » فقال جيتي متهدكا : « ان الرجل الطيب لا يدرى أنه حين يدرك الله فيما حوله فالالهى فيه متصل هنالك بالالهى في الكون أو ثق الصلات »

كذلك قال لجا كوبى : « ان الأقدمين في أوج رفعتهم كانوا ينشئون القدسية من الجمال ، فزيوس كبير آلهتهم لم يبلغ القام الالى تمثال الاولمبوس »

وقال لا كرمان فى عام وفاته : « دع من يشاء يدع إن استطاع بمحض العزيمة الانسانية - أى بغير مدد إلهى - شيئا يضارع ما أبدعه موزار أو رفائيل أو شكسبير ! »

فالجمال هو معجزة الكون الالهية عند جيتي ، وهذا هو ايمان  
الشاعر الفنان .

\* \* \*

وإيمان جيتي بخلود الانسان ضرب من التسلیم بالقدرة  
الكبير والأنابة اليها . فاما ماما الانسان في كفالة تلك القدرة  
فهي تمضي به الى الذى هو أقوم ، وهي لا تصنع العبث ولا تبطل  
ما تصنع . وقد قال بلسان بروميثيوس : « لا أذكر بدايتها  
ولا أحس نهايتها ، ولا أدرك الختام وإنما أنا خالد لأنى أنا  
موجود » وكل يحمل برها نخلوده في نفسه فمن لم يجده هناك  
فما هو بواجده في تى !

ولما سأله فولك عقيب وفاة صديقهما فيلاند : « ما تظن  
فيلاند صانعا في هذه الساعة ؟ » قال : « أنه لا يصنع شيئاً حقيراً ،  
ولا شيئاً يغض منه ، ولا شيئاً ينافق عظمة الأخلق التي أثبته  
في حياته » وهذا أمر لا خلاف فيه . أما ماعدا ذلك فليختلف  
فيه المخالفون

ثم استطرد الى ذكر « الوحدات » المعروفة في مذهب

الفيلسوف ليينتر ، وقال أنها خالدة لا يمسها الفناء ، وأنها على وفاق مع القدرة الالهية لأشدود فيه

ولا طاقة لجتي بالفلسفات العویضة التي تخوض فيما وراء الطبيعة وتقيم الدليل على خلود النفس بالمقدمات الطويلة والنتائج المعضلة . فایمانه بالخلود لاشأن له بهذه الفلسفات ولا مرجع فيه الى البحث الذي يكدر الذهن ويثقل على الخاطر . ولكنه يستريح من الفلسفة الى اثنين في المحدثين وهم « سبنوزا » و « ليينتر » الذي تقدم ذكره . وهو في إيثاره هذين الفيلسوفين وفي للعبقرية التي عرفناها وعرفنا جنوحها الى التسلب واستحسان ما هو حاضر . فان سبنوزا هو فيلسوف « وحدة الوجود » القائل بأن الله هو الكل والكل هو الله ، وأن الالهية ظاهرة في كل جزء من أجزاء هذا العالم . فالانسان لا يذهب بعيدا في طلب الاله والكشف عن الأسرار وجيتى لا يأتى أن يمشى مع هذا الفيلسوف في طريقه الدمت المربي

وسبنوزا كذلك هو القائل ان الدنيا تتغير ما تتغير ويبقى في كل تغيير شيء دائم خالد هو عنصر الكمال والجمال الذي يتجلى فيه

الا له . وهذا أيضا لا يتعجب جيئي من مصاحبة هذا الفيلسوف ، لأنه يطمئن معه إلى نفسه ويرضى عن كل حالة تمر به أو تصيده « أما لينتز » فهو فيلسوف الفردية والاجزاء والرضى عن الوجود لأنَّه خير ما في الامكان ، وهل أحب إلى جيئي من الفردية والاجزاء والرضى عن الوجود ؟ فالعالم عند لينتز وحدات منعزلة يعكِف كل منها على نفسه وينتزع على حسب قوازنه المكتونة فيه ، فلا سلطان عليه للوحدات الأخرى ولا يلوح لنا نحن أنه يتأثر بتلك الوحدات إلا أنها كلها معدن واحد فديم مرتب منسوب منذ أزل الأزل . وكل وحدة هي مرآة القدرة الالهية تتجلى فيها هذه القدرة على حسب حظها من الترقى والكمال ، فلا ديمنة لوحدتها على سائرها وإنما تستقبل كل منها باظهار قدرة الله على منوها : مثلها في ذلك مثل ألف الساعات إلى تلك على الوقت وتنتفق كلها في الدلالة عليه ثم أنت لا تفهم من هذا أن احداثها أثُرت في سائرها ولو كانت أدق وأنفس منها . وكل وحدة خالدة تترقى وتظهر جمال الله على درجات في الاظهار ، فالفردية المعزولة في هذا العالم السعيد على أتمها هنا ، وجيئي يأوي من هذا

## المذهب الى بيته الامين

وقد تلبيح في جيتي أثرا من آثار أفلاطون في كلامه عن المثل التي تسبق الموجودات ، فذلك الماء في الجزء الثاني من رواية فوست الى عالم السكون المجهول الذي لا مكان ولا زمان فيه ولا تقييد فيه الاشكال بقيود ، ولكنها عبارة شعرية لا أكثر ولا أقل ، وليس جيتي بعد هذا بالذى يعنى ذهنه في استقصاء هذه الأسرار الى ثناياتها البعيدة . لأن مذاهب الفلسفه في شرح خلود النفس كما قال في أخرىات أيامه « هي شغل المبطلين من السراة الخالين أو النساء اللواتي لا يشغلن شاغل » ومن ثم انكاره على السلطان الذى كان يدعوه رجل الكنيسة لانفسهم في الوساطة بين الله والناس . فهو ينحو فيه نحو الفردية و نحو « وحدة الوجود » في وقت واحد . اذ « كل الحقائق تأتى من عند الله . و هؤلاء الناس — يعني رجال الدين - يزعمون أن الله لا يتكلم الا بوساطة الكنيسة ، فهم لا يرون كيف يتكلم الله بلسان جميع الاشياء ، فما من حشرة تدب على الأرض وما من ورقة على شجرة الا و لها نباً تقوله من عند الله » . وجيتى يعني

الكنيسة الكاثوليكية بذلك الكلام ، وهي غير كنيسة البروتستانية  
التي نشأ عليها هو وأهله . فليس في كلامه هذا تمرد جديد على  
سلطان وطير !

ولايختفي أن جيئي قد خامرته الشكوك في كل مذهب وكل ملة  
وأتخاذ لنفسه عقيدة تخالف عقائد الشعراء والمراسيم في الجملة  
والتفصيل ، وعرف الله في نفسه وفيها حوله بغير هداية من ذى  
كماهه الا من كان يقرأ لهم ويحادثهم في أمور الدين ، وله  
مثل ظريف في استقلال الفرد بعقيدته يقول فيه أن عقيدة  
الإنسان ينبغي أن تكون كالذخيرة التي يدخلها في بيته ليعتمد  
عليها وقت الحاجة . أما ذخائر المصارف فأرباحها لا أصحاب  
المصارف . وقلما يربح منها المستعيرون

ولكنه على مخالفاته وشكوكه لم يتم رد قط في كفر ولا عقيدة؛  
الافي سورة الشباب أيام أن نظم قصيدة في «بروميثيوس» الاله التأثير  
على رب الأرباب، وأيام اعتلاج المناظر الأولى من رواية فوست  
في ضمير وخياله، ثم ثاب إلى مذهب يقارب مذهب ابن العربي الذي  
يقبل في قلبه كل صورة ويجمع فيه «دير الرهبان ومراعي الغزلان».

نخرج من روایة ولهلم میستر بجماع مذهبہ فی الأدیان کافہ وهو احترام الجميع . فکان یعتقد أن الأدیان ثلاثة : واحد یدعوك الى احترام ما فوقك وليس أسهل منه ، وآخر یدعوك الى احترام ما یقاربك وهو أصعب من ذاك ، وثالث یدعوك الى احترام مادونك وهو المسيحية . ولن یکمل دین المرء حتى یؤلف بین هذه العقائد جمیعاً فیحترم کل شیء ویرضی عن کل شیء ، ونحن هنا من طبیعة جیی فی صمیم الصمیم ! فلا تمرد ولا استخفاف بل تبجیل و تسليم واشتهر جیی بالسخر الخنی فی أحادیثه وفي توالیفه ، ولا بد أن یسخر رجل عاش کا عاش وشهد کا شهد واستعرض الدنيا استعراضه لحقائقها وعجائب أکاذیبها ، الا أنه سخر لا استخفاف فيه ولا صغار ولا رعونة ، ورما نفعته فی هذا طبیعة المحافظة الراسخة فيه ، فعودته التهیب ومدارأة الأمور

وانک لتعجب لهذا الذهن الكبير کيف کان یضيق به النظر کلما باعتره التغیر فأجفل من المبالغة وسارع الى الانكار في غير موجب للانكار ، فهذا الذهن الذي یتناول المسائل الجسمانيّة سهولة ورفق لم یلبث أن سمع باباحة الزواج باليهودیات حتى

ثار ثأره واستعظم الامر كأنما فيه ثورة على نظام الوجود . قال مولر : « ما كدت ادخل على جيتي في نحو الساعة السادسة ... حتى بادرني الشيخ العزيز بيان مسهب عن الغضب الذي خالجه من قانوننا الجديد الذي أباح الزواج باليهود ..... فقد أبدى أشد المخاوف وتوقع أو خم المواقب وقال : لو كان المراقب العام رجلا من ذوى الاخلاق لآثر أن يعتزل منصبه على أن يبارك اليهود في الكنيسة باسم الثالوث المقدس ! »

كان هذا في سبتمبر سنة ١٨٢٣ ، أي بعد موت زوجته بسبعين سنوات ، خليق بهذه الغضبة العجيبة أن تعرف ناس رضاه بـ كريستيان فليبوس قبل الزواج وسر معاشرته ايها على خلاف العرف في بيته وزمامه . فلم يكن مسلكه هذا اجتراء على تغيير مألف الناس بل كراهة منه لتغيير مألفه ، وكل ما في الامر أنها امرأة استطاب العيش معها فلم يقدر على فراقها . فقبل من أجل ذلك أن يغضب من أغضب وهو قانع مستريح

هذه الراحة هي قوام هذه العبرية في كل رأى وفي كل مسلك وفي كل خطوة . فما التقوى ؟ وما الخلق ؟ وما الفن ؟

كلها وسائل للسلام أو للتوازن والطمأنينة في النهاية . « فالائقى  
ليست غرضاً لذاتها ولكنها وسيلة للترقى بسلام النفس الى  
أرقى مراتب التهذيب » .. والشعر وسيلة تخذلها لسد خلل  
الحياة وترك التبرم والشكایة ، والفن « ليس غيره وسيلة  
مأمونة للنجاة من العالم وليس غيره وسيلة مأمونة للحلول فيه »  
وقواعد الآداب والأخلاق : « محاولة دائمة لاقرار السلام  
بين مطالبنا الفردية وقانون العالم المستور » فكل ما ليس فيه  
سلام ولا أمان فليس فيه خير ولا إحسان !

نعم انه كان يوصى بالعمل ولا يكفي عنه ، ونعم انه كان  
يعتبر العمل سبيلاً للخلاص والتکفير لأنه سبيل تعریف  
الإنسان بحقيقة نفسه ولا خلاص للنفس بغير هذه الحقيقة ؛  
ونعم انه استرسل في هذا المعنى حتى قال إنه لا يدرى ماذا يصنع  
بالخلود الأبدى الذى لا عمل فيه ولا واجب ، ولكننا يجب  
ألا ننسى أبداً أن هذا العمل لا ينفي الراحة والطمأنينة ، فكل  
عمل لجتى فشروطه فيه أن لا يجهد ولا يزعج وأن يكون عفو  
الطبع والسلبية : « ولذهب كل إلى واجبه كالنجم في غير عجلة

ولكن في غير قبور» كما قال في احدى مقطوعاته. وما الواجب الذي يذهب إليه؟ هو عند جيتي مطالب كل يوم . فلن قام بطالب الحاضر يوماً بعد يوم فليس عليه واجب أقدس من ذاك . أو كما قال في وصية أخرى : « كن أميناً لحظة بعد لحظة فهذا خير ما تفعل ». فالماء لا يذهب مع جيتي بعيداً في طلب الله ولا في طلب الواجب ، فهو يجد الله ويجد الواجب حيث كان !

أما حكم الأخلاق عنده فيتناول طيبات الحياة فهو الحكم المنظور عند رجل يؤمن بالحس ويؤمن بالواقع الراهن كل هذا الإيمان . فالدنيا حقيقة وليس بوهم ولا عبث ، بل هي حقيقة حتى في نظر الله وليس كذلك في نظر الإنسان وحده . والا « فعيشك سبعين سنة لن يساوى فتيلًا إذا كانت حكمة الدنيا بأسرها حماقة عند الله ». ولقد قال « إن الكل باطل معناه أن الكل ليس بباطل » . وما دامت الدنيا حقيقة وليس بوهم ولا عبث فقيم نعرض عنها وزهد في طيباتها ؟ فكل ما أباحه اليوناني القديم لنفسه فهو مباح في عرف جيتي بغير تجلبج ولا معاناة . و « لنقدم على السعادة » كما قال ولنعرض عن المعرضين .

فهو الرجل الأغريق المثقف في محلاته ومحرماته . وقد كان له رزان ينظر اليهما كثيرا ويأنس اليهما في بيته : وهم تمثال جويتو وجحمة إنسان ، ومانحسبه كان يترجم عن نظرته الطبيعية إلى الحياة والموت بأبلغ من هذين الرمزين

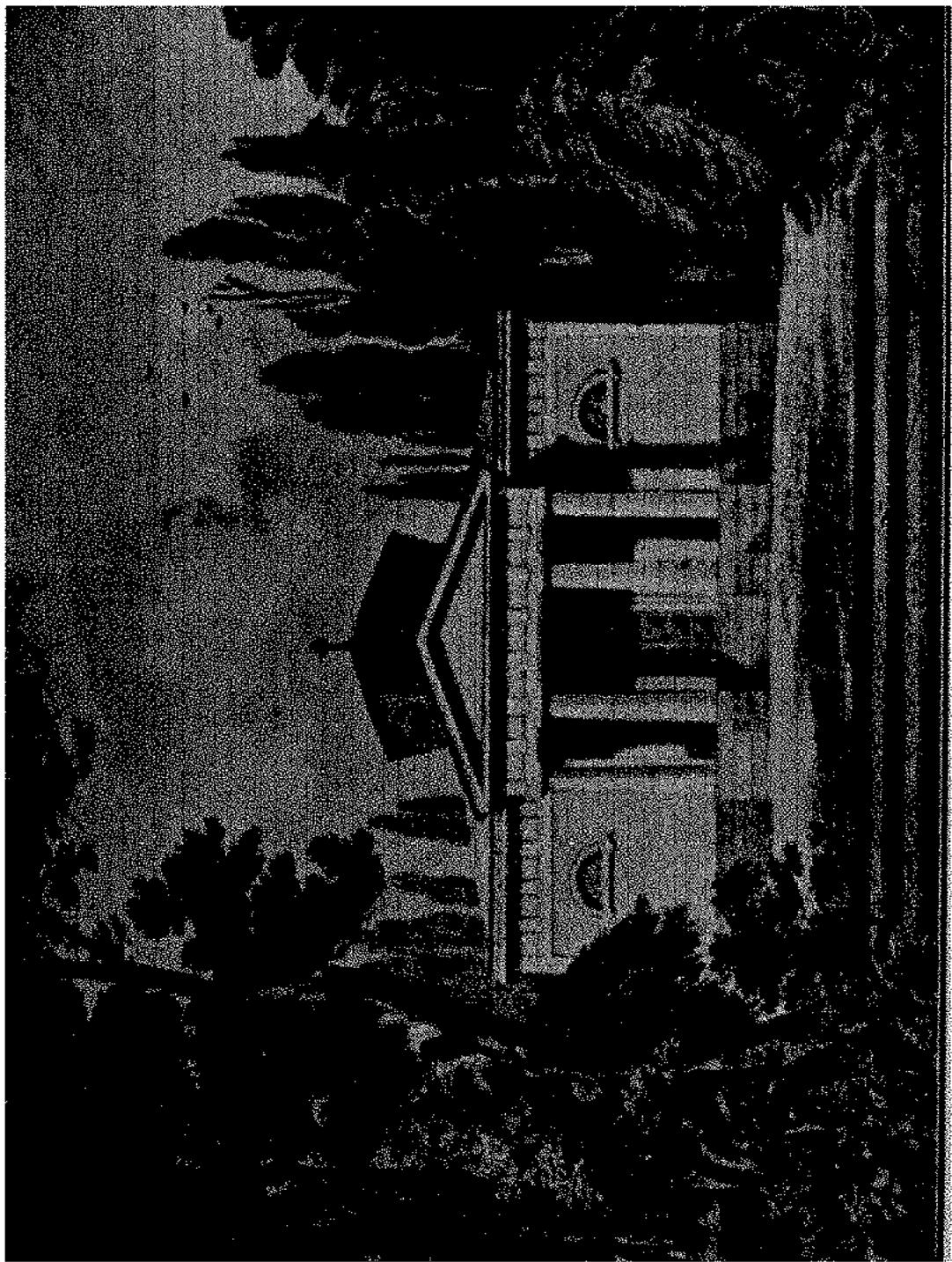
لقد أوصى جيتي بالتسليم ونكران النفس ، ولكن أي تسليم وأي نكران ؟ فاما التسليم فهو الرضي بالحاضر لكي تملأه إذ كان السخط عليه حائلا بينك وبين تملك إياه . وأما النكران فهو ترك القليل في سهل الكثير ، وليس هو التعويل على ترك هذا وذاك . نفذ الحاضر كايحيء إليك ولا تأس على الماضي : « فليس في هذه الدنيا ماض يُؤسف عليه وإنما كل ما فيها جديـد دائم » ولا جدوـي تعود علينا من وراء الحزن على ما يزول . « فـاـنـماـنـحنـ هـنـاـ لـنـصـبـعـ الزـائـلـ بـصـبـغـةـ الدـوـامـ . ولا يتـاح لـنـاـ ذـلـكـ إـلـاـ بـتـقـدـيرـ الزـائـلـ وـالـدـائـمـ عـلـىـ السـوـاءـ » . وفي آية من آياته الشعرية الحالدة يقول : « كيف تركت تجدد نفسك بلا وفاء ؟ إنك مستطيع ذلك ، مستطيعه بأن تحـلـ نفسـكـ نـصـيـاـ من السـرـورـ بـالـعـظـمـةـ . فـاـنـكـ كـلـ عـظـيمـ لاـ يـزالـ أـبـداـ جـدـيدـاـ حـارـاـ

ملوءاً بالحياة، وفي الحقير ترتعد أو صالح الرجل الحقير ». فالعظمة في الإنسان وفي الطبيعة هي الخلود أو الحياة التي لا تنتهي تتجدد، وعلى الإنسان أن يكون كالطبيعة وليس عليه أن يخلق مذاهب الأخلاق من الهواء ، أو كما قال : « ان جميع المثل العليا لن تعوقني أن أكون ما خلقت . أى أن أكون طيباً ورديناً كهذه الطبيعة ». فإذا حدثه أحد عن الضمير صاح به : « وما الضمير ؟ وما الذي يتقدا ضاناً إياه ؟ » وليس معنى هذا رفض الضمير والزراية به ، وإنما معناه أننا نحن قوام الضمير بما نختار، ولسنا أسرى الضمير على الكره والاضطرار

\* \* \*

وبعد فقد يكون من المغواة نسب في شرح آراء جيتي السياسية و موقفه من مبادئ الثورة الفرنسية التي حضر عيدها . فان تلك الآراء واضحة كل الوضوح فيما تقدم فلن تكون فيها مخالفة لما فطر عليه من السكينة والعزلة الفردية وفتور العاطفة بينه وبين من حوله . ولذلك نقل هنا فلسفته العلمية عن النظام الذي يراه في سنن الطبيعة : فهو يقول في

مقدمة الامر، حيث دفن جندي



كتابه عن علم تركيب الأجسام الحية انه « كلما نقص تركيبة البنية عظم التشابه بين أجزائها وعظم التتشابه بين كل جزء وبين مجموعها . وكلما كملت البنية عظم الخلاف بين الأجزاء في الحالة الأولى تكون الأجزاء تكريراً متفاوتاً للمجموع وفي الحالة الثانية تختلف الأجزاء عن المجموع كل الاختلاف

« كذلك كلما تشبهت الأجزاء قل خضوع كل منها للأخر خضوع الأجزاء ينبع عن مرتبة عالية في التكoin »

هذه فلسفة علمية يصح أن تنقل إلى الفلسفة السياسية ، وهو صحيحة كل الصحة في العلم وفي السياسة . ولكنها تويد آراء الآحرار ولا تويد آراء المحافظين ، فهي تستلزم أن يخضع ككل لمجموع الأجزاء ولا تستلزم أن تخضع جميعها لجزء واحد أو أجزاء قليلة ، ثم هي تشير إلى حالة الصحة في تركيب الجسم حيث تتضامن أعضاؤه كلها في التعاون والتساند ، ولا تشير إلا إلى حالة المرض التي يختل فيها تركيب البنية فيزيد الدم في ناحي وينقص في ناحية أخرى

كان جيتي يعارض مبادىء الثورة الفرنسية ولكنـه كان

يرى أن الثورات من خطأ الحكومات، وأن أحسن الحكومات هي التي تعلمنا أن نحكم أنفسنا» : وقد حذف صيغات الحرية من طبعات رواية «جوتر» الأخيرة ، وكان يتسامل : «ما فائدة الحرية الزائدة إذا كنا لا نستطيع أن ننتفع بها ! » ولو أنه حرم الحرية يوماً لما خطر له أن يسأل هذا السؤال

وقد توسع جيتي في ختام «رحلات ولهلم ميسنر» في الكلام عن الحكومات والأوطان وحقوق الإنسان في بلده وغير بلده ، فنصح بالرحلة والتنقل إلى حيث يفيد الإنسان... فقد يكون في بلده عاطلاً متبطلاً ولا يظهر عليه ذلك ل ساعته . أما في الغربة فالرجل الذي لانفع فيه لا يلبث أن ينكشف» . وقال : «ولقد طالما قيل انه حيثما رضيت فهناك وطني . وأولى أن يقال بل حيثما أفت في تلك الوطن» . ثم قال : «على هذه الصفة نستطيع أن نحسب أنفسنا أعضاء في جامعة واحدة هي العالم بأسره . وهي فكرة بسيطة جليلة سهل على الإنسان تحقيقها بالفهم والاقتدار ، فالاتحاد قوة كبرى: فلا انقسام إذن ولا خصومة بيننا . ولنعود كل منا أن يرى نفسه بغير صلة دائمة تقيده بمكانه ، ولينشد الدوام

في نفسه لا فيها حوله . فهنا لك هو واحد واجبه وهذا لك فلينعم به وليرزده ، وكل من وقف نفسه لألزم الحاجات وأقربها فهو متقدم في طريقه على ثقة في جميع الأحوال ، أما الذين ينشدون الارفع والا كمل فيفتقرون إلى حكمة أعظم وأقدر حتى في اختيار الطريق . وأيا كان المرء عاملأ أو محاولا فليعلم أنه لا يكفي نفسه ولا يستغني عن الجماعة » . ثم قال : « علينا واجبان أخذنا أنفسنا بالتزامهما أشدالالتزام ، فأولهما أن نوفر كل عبادة دينية فإن جميع العبادات تلتقي على اختلافها في العقيدة . وثانيةما أن نوفر كذلك الحكومات على جميع أشكالها ، ومتى كانت كل حكومة تهدى إلى العمل المدبر وتقوم على تشجيعه فعلينا أن نعمل وفاق ما تفرضه السلطة المقررها وترومه ، أيها قسم لنا أن تكون »

وليس في هذه النصائح جميعها نصيحة واحدة لا توافق طبيعة جيئي في صميمها . فهو عالمي لانه فردي ، وليس كل عالمي فرديا على هذا المثال

\* \* \*

لقد عرفت البارونة « فون شتين » صاحبها حقاً حين سمعته

باسم «اللاما» كاهن التبت الأكبر العاكف على رأس جبله في نحوة عن العالمين ، فقد عاش جيئي في صومعة من نفسه وعاش كاللاما في سكينته وبعده ، غير أننا حريون أن ننبه في ختام هذه الكلمة إلى خطأ قد يقع فيه المتعجل فيفضل في فهم هذه العبرية أشد ضلال . فلننقل مانقول في «راحة» جيئي ولا ننس أبدا أنها هي راحة الذدن الكبير وليس براحة الذهن الصغير ، وأن الزراقة تقف في مكانها لا تبرحه ثم ترفع رأسها فتتال ذؤابة الشجر التي لاتناها النملة إلا بعد ساعات تستهدف فيها للخطر المشقات . فاذا بدا للنملة أن تهم الزراقة بالبطء وقلة الحركة فلتفعل . ولكنها لاتصفها حيث تزد أصدق الصفات

## شُدُّر جيتي

فُسْدُر جيتي في حياته وبعد مماته ، واتفق له التقدير في منزلته الحكومية وفي مؤلفاته وفي منزلته الأدبية : فارتقي إلى أرفع المناصب في إماراة « فيمار » وأنعم عليه الامبراطور بلقب النبالة وهو تنويه غير قليل في بلاد الألمان في ذلك الزمان ، ويُعَتَّ  
مؤلفاته للناشرين بأثمان لم يعهد لها نظير في غير كتب فولتير ، وسعت إليه وفود الأدباء من الأقطار الاوربية تكريمه وتحميه ، وتسمى ذروة الشهرة العالمية في عصر ندر فيه الأدباء العالميون ولما مات دفن إلى جانب صديقه شيلر في مقبرة الأمراء وأقيمت له التأبين وحفظت آثاره في داره ، وتنافس جرمان النسا وجرمان ألمانيا في تخليد ذكره وشرح مؤلفاته وتدوين الكبير والصغير من أخباره

والاليوم يحتفل الجerman بذكرى وفاته فتشترك الحكومة والشعب في تقديس هذه الذكرى وتتحد الأحزاب في هذا الغرض على اختلاف أغراضها : وتشتغل الصحف بحديثه حتى التي لا علاقه لها بالشعر والادب ، فصحف الاسنان تكتب



مثال جي وشيلر في فیمار

عن أسنان جيتي ! وصحف السباق تكتب عن جيتي وركوب الخيل او صحف الأزياء تكتب عن ملابس جيتي وأزياء عصره وقبل ثلاث سنوات احتفل الألمان كذلك بذكرى مرور قرن كامل على تمثيل رواية فوست للمرة الأولى ، وقبل ثلاث عشرة سنة احتفلوا الى جانب رفاته بانشاء دستورهم الجديد ، وفي سنة ١٨٤٩ احتفلوا بمرور قرن كامل على ميلاده ، وهذا غير الاحتفالات المترفرفة التي يحييها أنصار أدبه ودارسيوه ، وغير الكتب والترجم والشروح والتعليقات التي تعد بالمئات وقد اشتراك أمم أوربا في الاحتفال بالذكرى الأخيرة فتوافد مندوبي الدول الى فimar وخطب الخطيبا في الجامعات وصدرت مجلات كثيرة في فرنسا وإيطاليا وعماك الشمال ليس فيها من الغلاف الى الغلاف الا الكلام عنه وعن ترجمته وآرائه وآثاره ، ولا تزال الصحف الاوربية تكتب وتستكتب عنه ما يكفي لتأليف مكتبة كبيرة ، بل لقد شوهد بين الأكاليل التي وضعت عند قبره اكاليل من الرأس طفري مكتوب عليه « الى الشاعر العظيم » ويلى ذلك هذا التوقيع البسيط : « الحبشه » ذلك تقدير لم يظفر به من الأدباء الا أفراد معدودون ،

ومع هذا لا زيد أن نلقي قيمة جيئي ولا غيره على  
أمثال هذه الاحتفالات ، فكثيراً ما يظفر الأدباء الصغار بأمثالها  
في الحياة وبعد الممات ، وكثيراً ما تراد بها نوافل الأدب وحواشيه  
دون جواهره وحقائقه . واحتفالات جيئي في الواقع من هذا  
القبيل لا فرق بين ما جرى منها في ألمانيا وما جرى في البلاد  
الأجنبية ، فكلها قد تعزى إلى أسباب غير أسباب الأدب  
المحسن والثقافة الخالصة ، واللامام بهذه الأسباب مفید للتمييز  
بين تقدير الحقيقة وتقدير الظواهر والمناسبات

فاحسب قبل كل شيء حساب المنصب الكبير وال عمر الطويل ،  
فإن المنصب الكبير قد سوغ للناس منه مالا يسيغونه من سواه ،  
والعمر الطويل قد ثبت قدميه في الميدان وأتاح له الوقت لاستدراك  
نقشه وتكرير مؤلفاته وابراز مناقبه ، ولو مات في سن الشباب  
لذهبت آفة التفكك والاقتضاب بقليل ما كتب ، لأنه اشتات لم  
يعرف الناس قيمتها الا بالإضافة الى ما بعدها

واحسب حساب المصادقة والاتفاق بين الزمن الذي علا  
فيه نجمه والزمن الذي علا فيه نجم الأمم الجرمانية وتهيأت

فيه بواسطه الوحدة السياسية والاعتزاز بالقومية ، فنظر الألمان في ذلك الزمن الى علم أدبى يأوون اليه فلم يجدوا أمامهم غير شاعرهم الكبير لرسوخ قدمه واشتهره في غير وطنه ، فأصبح التشيع له عصبية وطنية على قلة اعداد جيتي في حياته بتلك العصبية وأحسب حساب المآرب السياسية في «دستور فimar» وذكرى فوست وهذه الذكرى الأخيرة التي يحتفلون بها اليوم . فكان مما أراد الألمان أن يذكروا العالم بديونهم الأدبية عليه في الوقت الذي ارهق THEM فيه ديون الحرب وحاولت السياسة أن تقطع ما بينهم وبين الشعوب ، ومتى ذكرت شعوب العالم أن الألمان هم أمة جيتي وشيلر وهينى ولسنج ويتهوفن وأقطاب الأدب والفن والثقافة فوق ذلك انصاف لهم يتغدر معه الارهاق والاعنات

أما الامم الاجنبية فما ظنك بها لو كان جيتي قد ناضلها في سبيل العصبية الالمانية كما ناضلها بعض الالمان الغيورين ؟ .

لقد كان تقديرها ايها يختلف لامحالة بعض الاختلاف فضمور العصبية الالمانية في كتب جيتي كان احد الاسباب التي قربت بينه وبين الفرنسيين والطليان والانجليز ، كما قربت بينه وبين الاشتراكيين في الامم الجرمانية والاجنبية على السواء ، ويضاف

إلى ذلك اعجابه بشقاقة الفرنسيين واعترافه بفضلهم وكثرة مؤلفاتهم في مكتتبته المحفوظة إلى يومنا هذا وtorre عن خصومتهم حتى في أبان الحرب بين بلاده وبلاطهم، ثم يضاف إليه التغنى بـ إيطاليا وفتنة آثارها وجمال مناظرها والحنين إلى أدب الجنوب وايشاره في بعض نواحيه على أدب الشمال، ثم يضاف إليه تعظيم جيتى لشكسبير وثنائه على بيرون وستيرن وجولد سمت وجمهرة الأدباء الانجليز

ولقد كان رائد جيتى في إنجلترا توماس كارليل وهو كاتب من النفس كان يكره الدعوى الفرنسية ويأتي عليها قيادة الفكر في القارة الأوربية ، فكان ينحي على فلاسفة فرنسا وادباتها وزعمائها ويضرب الأمثال بالألمان ويطلب في المقابلة بين هؤلاء وهؤلاء ليضع فردرريك بازاء نابليون ويوضع جيتى بازاء فولتير ويضع عبقرية الألمان بازاء عبقرية الفرنسيين

وكانت رائدة جيتى في فرنسا مدام «دى ستايل» وهي كاتبة نفقت من بلدها ونقمت على الأدباء خصومها ، فكانت تضر بهم بتفحيم مناقب الأدباء الألمان والاشادة بالأمة الألمانية على الإجمال

فهذه النواول جميعها قد أحاطت بشهرة جيتي فزادتها ولم تزد في قيمة عمله ، ولو أنها ذهبت عنه لنقصت شهرته ولم ينقص قدره في ميزان الأدب الصحيح

\* \* \*

كذلك لا نحب أن نعلق قيمة جيتي على كلمة قالها نابليون وتهافت عليها المعجبون بالشاعر كأنها شهادة الشهادات . ونعني بها قول نابليون لمن حوله بعد أن رأى الشاعر « هاكم رجلا » فان هذه الكلمة التي القى بها نابليون بعد جلسة واحدة لا تزيد على وسام يمنحه من يرضي عنه ، وكلنا يعلم شأن هذا الوسام في النقد والتمييز على ان حاضرى الحديث وناقليه قد اختلفوا في مناسبة هذه الكلمة بخاتم في مذكراتهم على روایات . ورواية جيتي نفسه لا تدل على شيء كبير . فهو يقول ان نابليون نظر اليه مليا ثم قال : « مسيو جيتي . انك رجل ! » ثم سأله : كم عمرك ؟ فلما علم انه في الستين قال : « انك مدخل العافية » . فكأن نابليون كان ينظر في كلته الى بنية الرجل لا الى عقريته

وقد كان نابليون مضحكا في نقهه لقصة فتر التي زعم انه

قرأها سبع مرات . فانه اتقى بعض العبارات التي يظهر منها أن الطمع  
كان مزوجا بالحب في حمل فتر على الاتسحار . وقال « ان هذا  
لا يوافق الطبيعة البشرية ، وانه يضعف في ذهن القارئ عقيدته  
في سلطان الحب على نفس فتر ». ثم سأله جيتي : لماذا كتبتها هكذا ؟  
وقد قبل جيتي هذا الاتقاد ، ولكن القارئ يرى بغير جهد  
ان الصواب كان في جانب الشاعر لا في جانب نابليون ، فان المرء  
لا ينتحر لسبب واحد ، وانما تتضافر الأسباب وتعاقب حتى  
تتجتمع كلها في السبب الاخير

وما نظن أن نابليون عن جيتي كما عنى بنفسه ، فانه كان  
يكتبه على تأليف رواية عن يوليوس قيصر يكون ظاهرها لقيصر  
وباطنه لنابليون ، وقد علم أن أدباء فرنسا بين صغير لا يرضيه  
وكبير لا يرضي عنه ، فالتفت إلى أديب الألمان المشهور  
انما يدل على جيتي فهم أثره لا تردده ذكره ، ويدل عليه  
أكثر من ذلك أن الذين يفهمونه يكررونها ولو خالفوه في الرأي  
وبايته في المزاج ، ففي طليعة خصومه وناقديه هنريك هيمني  
الشاعر المبدع الذي يضارعه في البلاغة وعذوبة الأناشيد ويفضله  
( ٧ - ٢ )

عليه الكثيرون في الظرف وطراقة الموضوعات ، فانه بعد أن نقدمه وألم بمحاسنه وماخذ الناقدين عليه عاد يقول : « وبعد فان جيتى لهو عاهل آدابنا . فإذا صوبنا مبضع النقد الى انسان كهذا فيحسن بنا أن تقدم اليه بما ينبغي من التوقير . كذلك فعل الجلاد الذى عهدوا اليه أن يقطع رأس شارل الأول ، فانه قبل أداء عمله رکع أمامه والتس منه غفرانه »

وان كلمة من هيئى في هذا الصدد لترجم ب بكل ما يقوله نابليون وكل ما تقوله الاحتفالات

بل يدل على جيتى أن تنبت افكاره في ذهن كل مفكر حتى يكاد لا يكتب الكاتب في زماننا هذا الا وجيتى مائل في خلده ، وقد عمد بول هازار الاستاذ في كلية فرنسا الى احصاء حسن الدلاله في هذا الباب ، فاتنق بعض كتب المعاصرین التي لا علاقه لها بجيتى وتواليقه وراجعوا فظهر له أن ثمانية — من عشرة كتب — تستحضر أفكار جيتى وتشير إليها . وتلك دولة شاسعة في عالم الثقافة لا تفتح الا لافذاذ الفاتحين

وانك لتعدين المعجبين بجيتى عقولا وقرائح يفرق بينها ما يفرق

بين القطبين النقيضين في التفكير ، فهناك كارل ليل و بيرون و امرسون و ماتيو ارنولد و تنسون و مرديث ، وهناك سان يف و رومان رولان و اندريه جيد و موروا ، وهناك ماتسيني و جيونوانى جنتيل و براندو مازريك و مرجوكفسكي و تاغور ، وهناك ماركس و انجليل و نتشه و هاوبمان و لدفج و توماس مان ، وبين هؤلاء الانجليزى والامريكى و الفرنسي و الروسي و الهندى وأهل الشمال وأهل الجنوب . وبينهم المتصوف والمطرف و عاشق المثل الاعلى و طالب الواقع القريب ، وبينهم الشاب والشيخ والقديم والحدث و الشاعر و الفيلسوف ، وكلهم يجذب في جيئي بغية ويلمس . فيه عظمة ويستريح منه الى جانب و يأخذ منه بنصيب . وتلك ايضا دولة في عالم الثقافة لا تفتح الا لافذاذ الفاتحين

هذا هو التقدير ، وهذه هي العظمة ، وهذا هو الخلود .

## ختارات متفقة<sup>(١)</sup>

### ﴿الحكماء والشعب﴾

في هذه القطعة تمثيل صحيح لطريقة جيبي في التسليم وتبسيط الحقائق الكبرى بردتها إلى المحسوسات القريبة واحتضان المعضلات من أهون سبيل مع شيء من السخر والسكنينة، وفي القطعة صدق حكاية لأساطير الحكماء القداميين في ردودهم المبهمة على المسائل العويصة، ولهذا اخترناها من بين «لوازمه»

أيمنيدس

هل يا خوان، نجتمع في الغاب . فهذا الشعب مقبل ، يتواجد  
من الشمال والجنوب ومن الشرق والغرب ، يعني العلم في غير كلفة  
فأعدوا له القوارع الشداد !

### الشعب

إى هؤلاء الحالمون الذاهبون في الخيال ! حدثونا اليوم حدثنا  
مبينا من غير ليس ولا محال ، قولوا ، أهذا الوجود قديم ؟

اناكساجورس

ذاك أكبر ظني . فانها تكون خسارة على الزمان الذي غبر  
قبل وجوده

(١) هذه اختارات من ترجمة صديقا الأديب الالماني والمترجم الناقد عبد الرحمن صدقي

الشعب

وهل هو مستهدف للبوار ؟

انا كسيمينس

ربما . ولكن ليس في ذلك كبير بأس فيما أرى ، فما دام الله  
ولا بد من عالم

الشعب

وما هو الأبد ؟

بارهينيس

نعم تكدون القرحة ؟ ثوبوا الى أنفسكم ، وان لم تأنسوا الأبد  
في ضمائركم وفي جوارحكم ، فما يجدى عليكم قول قائل

الشعب

أين نفكرون ؟ وكيف نفكرون ؟

ديوجينيس الكالي

ياسوهذا العواه ان المفكر ليفكر من فرعه إلى قدمه ، وكابوهض  
البرق كذلك ينكشف للمفكر كنه الاشياء ماذاهي ، وكيف هي وكل ما فيها

الشعب

أصحيح أن روحنا يسكن فينا ؟

منزمس

سل عن ذلك أضيافك . خلائق أن ترى أن هذا الجوهر اللطيف

الصافى الذى يسعد ذاته ويسعد الآخرين ، هو الذى أدعوه بالروح

الشعب

وفي الليل هل يهبط عليه الكرى ؟

برياندرس

هو لا ينفصل عنك ، فكن عند شأنك أياها الجسد ، فاذا عنيت

بذاشك استفاد الروح راحة تتعشه وتجددى عليه

الشعب

وما هذا الذى يقال عنه الوجدان ؟

كليو بيليس

الذى يقال عنه الوجدان يحيى ولا يسأل !

الشعب

فسروا لنا سر السعادة ؟

كراتيس

انظر الى الطفل العارى ، انه لا يرتاتب في شيء ! انه ينطلق وفي

يده درهم واحد ويعرف أين يقع على مستودع القرص : على حانوت

المخباز

الشعب

قولوا ، ما الدليل على خلود النفس ؟

أر يسقي بيس

نسج الحياة الصحيح . فإنه ليس مجده الحى المحي ، فاذا اختلف  
خيطه أو التوى فالله بتخلصه أخرى

الشعب

أيهما خير المرء العقل أو الجنون ؟

ديمو كرتس

حسبها تفهم من العقل والجنون . أما إذا ادعى الجنون العقل  
فليس ما يمنع الحكيم أن يرده عن ضلاله !

الشعب

هل السلطان المصادفة والوهم دون سواها ؟

ابي قور

انا عن فديم شيمق لاري . فاغتصب المصادفة وقر عيناً بالوهم ،  
فإنك واجد فائدة ولذة في كلا الاثنين

الشعب

أغرو رو باطل أن نزعم أنا خيرون ؟

زيتون

دونك التجربة فليس مثلها شيء ، اجمع عزمك فاذا أنت غلبت  
على أمرك فليس في ذلك كبار دلالة !

الشعب

وهل أنا نزوع إلى الشر بالفطرة ؟

ييلاجس

فَدُنْسَا حَلَكَ وَنَفَضَتِي عَنْكَ ، بِيدِ أَنْكَ قَدْ خَرَجْتَ مِنْ بَطْنِ أَمْكَ  
بِنَصْبِيْبِ مَرْهَقٍ . أَلَا وَهُوَ الْعَيْ وَالْبَلَاهَةُ فِي السُّؤَالِ !

الشعب

أَتَرَوْنِي مَطْبُوعًا عَلَى طَلْبِ الْكَمالِ ؟

أفلاطون

لَوْلَمْ يَكُنْ طَلْبُ الْكَمالُ أَمْنِيَّةُ الْعَالَمِ وَهَجِيرَاهُ مَا بَحَثْتُ وَسَأَلْتُ .  
فَلَمْ تَعْمَلْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى أَنْ تَحْيَا مَعَ تَفْسِيْكَ ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَظْفَرْ بِفَهْمِهَا  
فَأَوْلَى بِكَ إِلَّا تَعْنَتَ الْآخَرِينَ

الشعب

مَهَا يَكُنْ فَالسَّاَدَرُ هُوَ الْإِنَانِيَّةُ وَالْمَالُ

ابيكريتيس

خَلْ لَهَا الْغَنِيمَةُ . وَلَا تَنْهَسْ عَلَى الْكَوْنِ الْأَعْيَيْهِ الَّتِي يَحْرُكُهَا فِي  
دَسْتُ لَعْبَهُ !

الشعب

وَبَعْدَ ، نَخْبُرُونَا قَبْلَ أَنْ نَفْتَرَقَ فَرَاقَ الْأَبْدَعُهَا يَنْبَغِي أَنْ نَرْضَاهُ

三

# أول نواميس الكون اجتناب ذوى الاجاجة الملحقين

فی محریقہ مارنا

٩

مارغريت — : فأنت أذن غير مؤمن بالله فوست — : لاتخطئي فهم ماأقول أيتها الحبيبة . فمن ذا يجرؤ على تعرية وحصره ، ثم يزعم أنه به مؤمن !؟ ومن ذا يجرؤ على الشعور به ، ثم ينكر الإيمان به ؟ . ذلك المحيط بكل شيء ، الحافظ لكل شيء ، أليس هو المستوعب الحافظ لك ، ولناته العلية ؟ أولاً ترين إلى السماء كيف رفعت ؟ وإلى الأرض كيف بسطت ؟ اليس هذى النيرات الخوالد السوابع في الفضاء يرمقنا بالحافظ وامقة ؟ أما يرنو طرفى إلى طرفك ؟ ألا يهفو كل شيء إليك بمحاجتي وفكري ؟ وهذا الجاذب أليس هو لغزالاً ، بادياً كان أو خفياً ؟ بهذا على فرط غموضه إملئي قوادك . فإذا ذقت السعادة في هذا الشعور ، فادعيه بما شئت من الأسماء ، ادعوه : السعادة ! أو القلب ! أو الحب ! أو الله ! — أما أنا فليس عندي له اسم . فالشعور هو كل شيء ،

وليس الاسم الا لفطا ودخانا يحجب عنا لألاء السموات  
 ( فوست )

### مناماهة فوست

أيتها الفلسفة والشريعة والطب جميعا ! وأنت أيها الفقه  
 الاسيف . . . . واحسرتاه ، لقد تعمقت في درسك أيتها العلوم  
 دائئما صبورا ، ثم ها أناذا الآن — أنا المفتون الممسكون — مابرحت  
 من المعرفة حيث كنت في البداية

صحيح اي ألقب بالاستاذ والعالم الجبهذ ، ولم اني قضيت عشرة  
 أعوام كاملة أدوار بتلاميذى أسحبهم من أنوفهم يمنة ويسرة ذاهبها  
 بهم كل مذهب — واكبتنا هاهنا بعد كل هذا نرى أنها عاجزون  
 عن إدراك أمر من الأمور ! .. إن هذا ليه ربى ! وان كنت كنت  
 في الحقيقة أوسع علمًا من سائر الحقى والجهابذة والاسانذة والفقهاء  
 والرهبان

لقد أصبحت لاتنزعني وساوس ولاشكوك . ولايروعني ذكر  
 الشيطان ولا الجحيم . ولكنهى كذلك حرمت بهجة السرور .  
 ولا أحسبي تعلمت في الواقع شيئا نافعا أو أستطيع تعليم الآنام شيئا  
 فيه صلاح لهم وهدایة

لقد خلا وفاضي ، فلامال عندي ولا نشب ولا جاه ولا سلطان  
 في العالمين : ان الكلب ليعاف عيشا بهذه التكاليف  
 ليس لي بعد اليوم ملتجأ إلى غير السحر . فآه لوأن لي فوة  
 «روح» وسر «الكلمة» يكشفان لي ما أجهل من الأسرار ، وآه  
 لوأنى أغدو غير مكره على أن أهرف بما لا أعرف ، ولوأنى أدرك  
 كل ما يستعمل عليه الكون ، وأرى - من وراء الالهاظ الجوفاء -  
 ما يكنته من القوة الخفية والبذور الازلية !

أيها البدر المنير الساجي . ألا كانت هذه آخر نظرة ترسلها على  
 لوعتي وبرحائي ! . . . لكم سهنت الليالي على مكتبي هذا ،  
 وكنت دائيا - أيها الصديق الساهم - نطلع على بين ركام الاسفار  
 والطروس

آه من لي - في سناك الحلو - بأن اتسم إلى ذرى الأطواب ،  
 واجوس الكهوف والغران مع الأرواح ، وأرقص فوق المروج  
 الشاحبة ، واتظهر بفيض ضيائك الرطيب

أواه ! لازلت رهن الضنى في غيابة هذا المحبس ! وتعسا له من جحمر  
 مظلم لا يتطرق إليه من نور السماء المحبوب إلا لحظة من خلال هذا  
 الزجاج ذي الألوان ، يكظه حتى عنان السقف ركام من الاسفار  
 المغيرة المأروضه وأكداش من الاوراق . وتهلاً ارجاه الانابيب

والقنافى والصناديق وشىء الادوات ، وناهيك سقط المتابع  
مما اورثنيه الاجداد ! ! .. وهكذا دنیا ! ! وعن هذه يقال  
انهادنيا ! !

وبعدهذا كله نتساءل فيم ينقبض فؤادك حين جنبيك جزعا ، وما بال  
شواعرك وخواج حياتك يرین علیها غم دفين ؟ نتساءل عن ذلك ! . . .  
ونستعيض من الطبيعة الحية التي خلقك الخالق في احضانها أن تدب  
وسط الدخان والوخم وتجاليد الحيوان وعظام الموتى  
النجاء النجاء ! وانطلق في وسیع الفضاء ! وحسبك هاديا كتاب العلامة  
« اوستراداموس » الحافل بالاسرار ، فاماك انطلع به على دورة الافلاك .  
فاذاتوات الطبيعة حينذاك تلفينك وانها تعاطيك فوة نفسية معاطاة الروح  
للروح ، وهيهات أن تدرك بالحس الغليظ العقيم هذه الطلاليم القدسية . . .  
أيتها الارواح السابحة حولي ، اجيبي ان كنت لى سامعة !

(فوت)

### الفطمة الدولى

أيتها الحجارة ، حدثني ! أيتها الصروح الباذخة أجيبي ،  
أيتها الطرق . إنطقى بكلمة واحدة ! ألا تستيقظين أيتها العبرية ؟  
بلى ، كل شئ حى في أسوارك القدسية يار وما الخالدة . الا في

ناظري وعند خاطري ، فما برح الصمت على كل شيء مخيمًا  
الامن يوسرى في أية نافذة أنا ناظر في يوم من الأيام إلى الطلعة  
الحلوة التي ستحي لي كل شيء وهي تهنيفي ؟ أليس لي أن أهتدي  
إلى السبيل الذي يدرج فيه وقت النفيس ذهابا إليها وايابا من عندها ؟  
لم أر حتى اليوم إلا يعا وصروحا ، وأطلالا وعمدا ، كالسائع  
الحازم الحريص على الفائدة من رحلته . ولكن سرعان ما أودع  
كل هذا ! فلا يبقى غير هيكل واحد ، هيكل الحب ، يقبل عليه  
العارف بأسراره

أنت يا روما عالم ! ولكن العالم بغير الحب لا يكون عالما ، ورومًا  
لا تكون روما . (أشجان رومانية )

### المقطوعة الخامسة

( بعد أن استحدث الشاعر علافة غرامية )  
على أرض الآثار تستخفني حماسة قدسية ، وتحدى العصور  
الخواли والمعصـور الحواضر باللحن الجمـير فتونسـي . هنا أطـالع  
فكـر الـأقدمـين ، وأـفـلـبـ يـيدـ الخـشـوعـ صـفـحـاتـ أـعـمـالـهـمـ فـتـسـجـدـ  
لـيـ مـتـعـةـ فـيـ كـلـ نـهـارـ ، أـمـاـ اللـيـلـ فـيـشـغـلـنـيـ فـيـهـ الحـبـ بشـوـاغـلـ أـخـرىـ .  
فـاـ بـاـتـ حـظـىـ مـنـ الـعـلـمـ نـصـفـهـ فـلـقـدـ أـصـبـتـ مـنـ السـعـادـةـ ضـعـفـيـهاـ .

وبعد أفليس من التعلم والدرس أن يتأمل البحر تكوير  
نهد كاعب ، وأن تجري الكف على استداره خصر مبتل (١) ؟ إني  
لا أفهم حينذاك ولا أفهم قبل ذاك ما الرخام ، وما الماءيل ، وإنى  
لأفكار وأفaren ، وأرى بعين تحس . وأحس بكف ترى  
ولئن سلبتني الغانية سويعات من النهار فانها تعوضنى عنها ساعات  
في الليل . وليس الليل كله بعناق ! فاننا لنتحدث فيه الحديث  
الرصين . وتأخذها سنة من النوم فتنازعني ألف فكرة . وأنظم بين  
ذراعيها . وأقسم بأصبعي الماجنة على ظهرها — تفاعيل بحر من  
القريض . وهى في منامها تنفس فتضرنى أنها سها حتى سويداء  
قلبي ، والحب يتهدى أبداً مصباحه الوقاد ، ويحمل بالعهد الذى أدى  
فيه هذه الاطاف للاسبقين من الولاة الرومانيين (أشجان رومانية)

### الراجمة

الشمال والغرب والجنوب أقطارها تتصل ، وعروشها تتشمل ،  
وما لكها نهار . فما هرها ! وامض الى الشرق الطهور تسترخ  
الطيب من الآباء الطيبين ، ويرد عليك صباحك بالحب والنشوة والغناء  
حكيم المشرق القائم على عين الحياة .

(١) المبتل بشدید التأله الحسن التركيب والتقسيم

هناك بالطهر والانصاف أنسد الرجعى الى أصول بني آدم ، الى  
الازمان التي كان فيها الملا " يتلقون من الله كلمة الحق السماوية منزلة  
في اللغات الارضية ، لا يقدرون فكرها ، ولا يكدون ذهنا . الى  
تلك الأزمان التي كان فيها الملا " ي يجعلون السلف وينهون عن كل دين  
غريب

أريد التملى بهذه الطبائع الفطرية في عصور المطرة : إيمان  
واسع وفكرا ضيق لها من الشأن ما للكلمة ، فانها كلمة منزلة  
أريد معاشرة الرعاة ، والتزويع عن النفس في ظلال الواحة ،  
ارتحل مع القوافل وانجر في « الشمل » والبن والمسك والطيب  
أريد أن أطرق كل سبيل من البدائية الى الحضر

وسیان أصعدت في الوعوث أم هبطت في الوهد ، فان أغانيك  
يا « حافظ » تؤنسني : أغانيك التي يترنم بها المرشد على ظهر برذونه  
ما خودا طرها ، وكأنما يوقظ بها النجوم الوسني ، ويرهب قطاع  
الطريق

في حمامات الشرق و بين جدران الخان أريد أن أذكرك يا  
« حافظ » الملهم ، وقد أماتت حبيبي لثامها وتضويع من غدائرك  
شعرها عبير الند والعنب . أجل ، وما أحرى بـ الشاعر أن يبعث  
العشق حتى في قلب حورية من حور الجنان

ولإذا كنتم تنتقمون عليه ذلك أدنى نعمة ، فاعلموا أنَّ كلمات  
الشاعر لا تفتأمْ تحوم حول جنة الخلد طارقة أبوابها تطلب الخلود  
« الديوان الشرقي »

### الحرب

دعوني أنطلق على صهوة جوادى السابع ، وابقوا أنتم في عقر  
مدركم وتحت خيامكم . انى لأركض جذلان فى الفضاء الشاسع ،  
ليس فوق عمامتى غير الكواكب  
وما جعلت الكواكب هدى لكم فى البر والبحر الا ل تكون  
السماء أبد الدهر قبلة أنظاركم أجمعين « الديوان الشرقي » .

### هنين العمراء

لاتبع بقولي الا لعاقل حكيم ، فان سواد الناس على المهزء  
مطبوعون : أ Fowler نعم الحى من يشتهى المنية في اللهم  
في ليالي الحب الندية التي أنت فيها تتلقى الحياة وتبدل الحياة ،  
 تستحوذ عليك عاطفة غريبة إذا ما أثار القبس في سكون ، يستدرجك  
 شوق جديد إلى قرآن أنسى وأعلى . فلا يقعدك بعد المدى ، وتنخف  
 مبادرآً مفتونا . فإذا أنت ، ياصنو الفراشة من ولعك بالنور ذائب

محترق !

مت والبس لبوساً جديداً ! فانك - ماجهلت هذا - لعل ظهر  
الارض المظلمة ضيف حزن . « الدوام السرقي »

### المقاد

أصحيح هذا ! أضنك يا عروس الكواكب ثانية إلى صدرى ؟  
أواه من ليل البعد ، ياله من درك سحق . و ياله من عذاب وجيع !  
بلى ! امك لا ت هنا يامبعث أفراحي ومعدنهاو يأحل تمة لوجودي  
وأغلاها . انى لذكرى آلام الماضي أرتجف بين مدى الحاضر  
فقد ما كان الكون جنينا في الماوهية السحيفه فأوحى الله بارادة  
الخلق الابلى ، ونادى « ليكن العالم ! » ، فما هو إلا أن دوت آلة  
آلمة و إدا العالم ينتشر في تعدد الكائنات بجهد مفتدر شديد  
افتر النور ، وانشدت عنه الظلمات فرقا . و إدا بالعناصر تتشعب  
أشتابا و تتدابر . ، بنطلق كل عنصر على محمل - كا تنطلق الاحلام  
الشعواه ، وينتحي بعيداً جاسيا في أرجاء الفضاء السحيف ، لا بغية  
له ولا انسجام فيه  
وكان كل شئ آخر جديبا ، وكان الله في خليقته فريداً وحيداً !  
نخلق العجيز ، فاذا هو برق من الوحشة ، ويبعث في هذه الغواشي

أفانين الالوان المترقرقة ، فتسئني إذ ذاك للحب أن يؤلف ما تفرق شمله فإذا الذين خلقوا بعضهم بعضاً يتقاربون متكلمين . وأفبل على الحياة الخالدة النظر والشعور . وسيان الغصب والاختيار إذا صخ الماسك واللتئام !

كذلك على أجنهجة الفجر الارجوانية درجتُ الى شفتيك ، وكذلك أرى الليل يطبع المقتنا بالآلاف الاختمام الذهبية من منتشر نحوه . فكلانا على وجه البسيطة مثال الفرح واللام . ولو تكررت كلمة الأمر : « ليكن العالم ! » لما فرقت بيننا بعد اليوم .  
 « الديوان الشرجي »

### شيد محمد أو فيضي الا-هرم (١)

انظر إلى ينبوع الجبل جائشاً صافياً ، كأنما هو فوق السحب شعاع دري ، وقد أرضعت ملائكة الخير طفولته في مهده بين أفلق الصخور المعشوشة

انه ينحدر من السحابة فتياً نميرأ على صلد الجلاميد ، ويتنزى منها جذلان فرحاً إلى العلا .

هذا الشيد طبع لأول مرة على صورة مقطعات يتناول اشادها على وزوجه فاطمة بنت الرسول . ثم عاد الشاعر فنشره في ديوانه غير مقطع الى حوار . وجعل عنوانه شيد محمد وهو وصف لسرعة ذيوع دينه في العالمين

انه يسيل في وعر الأخدود ، يجرف أمامه مجزعة الحصبة التي  
لاتحصى ويسبح في إثر اقدامه العجل أخوة من العيون الثارة ،  
كأنه المرشد الأمين

وهمة في الوادي تنجم الرياحين عند قدميه ، وتحيا المروج من  
أنفاسه . فلا يئنه الوادى الظليل ولا الرياحين التي تطوق سافيه وتحاول  
أن تسبيه بلحاظها الفواتن . بل هو يصمد في تدنه متسللاً متعرجاً  
إلى فضاء السهوب

وتبارد إليه الجداول ترده ، فيدخل السهل لا معاً كاللجن ،  
فيتلاً لاً السهل بلا لائمه ، وتنظر طرباً أنهار الوهاد وجداول  
النجد ، وتهيب به « يا أخي ، خذ معك أخوتك ، وامض بها  
إلي أبيك الشيخ ، إلى البحر المحيط الأزلي ، الذي يترقبنا باسطاً  
ذراعيه . وأأسفاً ! لطالما بسط ذراعيه بلا جدوى ليضم إليه بنية  
الانضاء . ونحن في اليداء الجدياء تبتلعنا الرمال المحرقة ، والشمس  
في كبد السماء تشفي الغليل من دمائنا . ولا يستوقفنا غير كثيف نستحيل  
عنه إلى غدير ! يا أخي ، خذ معك أخوتك بالوهاد وأخوتك  
بالنجد ، وامض بهم إلى أبيك ! — تعالوا جميعاً ! »

وها هو العباب طاماً زاخراً ترده الروافد وينخلع في مجراه على  
الامصار . أسماءها ، وتنشاً عند أقدامه المدائن . ييد أنه لا يني

هادراً بتدفع ، لا يثنىء أبداً ثان ، مخلفاً وراءه الماء والصروح :  
بدائع خصبه وإنتاجه

وانه ليقل فوق منا كبه الجباره هنئيات السفن ، تتحقق الالوف من  
قلوعها فوق رأسه وتهفو هشروعه نحو السماء ، شاهدة على فدراته وجلاله  
وهكذا يضي بأخوته وكينوزه وبنائه نحو أبيه الذي ينتظره  
ويتلقاهم إلى صدره وهو يعج من الفرح      « مقطوعة »

### الجزء الأول

رسالة في ١٠ مايو

نفسى يغمرها صفاء بديع يوم ما لاسحاق الريبع الحلوة من  
صفاء تلتذه كل جوارحى . وأنا هنا وحيد ، مستسلم لبهجة الحياة  
في هذا البلد الذي يوافق هوى كل نفس كنفسي . وأنى — ياصاح !  
هانى، جد اهناة . مستغرق في دعة الاحساس بوجودى ، حتى  
جار ذلك على فنى . فهىأت لي الآن أن أرسم خطوا واحداً وان كنت  
لأحسبني في يوم من الايام كنت رساماً أعظم من اليوم . فكلما تصاعدت  
حولى هبات البخار من ذلك الوادي الحبيب ، وكلما طرحت شمس  
الضاحى على حلة غابى الطخيماء أشعتها فلم يسع لغير النزر القليل  
منها التسرب الى قرار هذا المحراب ، وكلما افترشت العشب النامي عند  
منحدر امواه الجدول فانكشف لى لصق أديم التربة العدد العديد

من شقى ضروب النبات الصغيرة ، وكلما احسست بجوار قلبي ذلك العالم الصغير يتحرك ويوج في حشده وينطوي تحت وريقة من او راق الكلأ على تلك الحشرات والهوام الجمة الاشكال التي تخير الناظر بتنوع افاليها ، احسست شهود « العزيز المقتدر » الذى برأسا على صورته ، وشعرت بذلك الذى وسعت محبوته كل شىء يهدنا بروحه ويسبح بنا في نعيم مقيم . . . اذ ذاك — ياصاح — يغشى ناظرى و يستقر العالم المحيط بي والسماء جميراً في فرارة نفسى كما تنطبع في النفس صورة المحبوبة ، ورب شوق لاعج ينazuنى فأقول في سريرتى : « آه ، ليتك تستطيع الترجمة عن كل ذلك ! ليتك تستطيع ان تنفت في الطرس وثبتت عليه ما هو سبب ما تأثر فى وجدانك بهذه الحرارة كلها وهذا الامتلاء كله ، اذا لا أصبحت تلك الصورة مرآة نفسك كما أن نفسك مرآة الله ! ». ولكن هذا الهيام — ياصاح — يضيع حواسى ، فأنوه به طليحا عاجزاً من سطوة هذه المشاهد الرائعة ( فتر )

رسالة في ١٣ يولية

كلا ، لست واما ! انى اطالع في عينيها الدمعاوين حسن التفات نحوى واهتماما حفياً بي وبصيرى . اجل . بل احس ، ويتحقق لي أن أصدق ما يهتجس به قلبي ، أنها .. وهل أجرؤ ، هل أستطيع أن أفوء بهذه الكلمة التي تحمل في ثناياها جنة الخلد ؟ .. أحس أنها تحبني ! أنها تحبني ! ولكن أصبحت من ذلك الحين عند نفسى حبيباً

أثيرا ، أو تدري مقدار ذلك ؟ . . . يجدر بي أن أخبرك أنت فانك خليق بفهمي ... شد ما أنا كلف بنفسي منذ أن أحبتني !  
 أترى هذا وها يخيل الى ؟ أم هو الاحساس بحقيقة حالي ؟ ...  
 أني لا أعرف رجلا أخشى منه على المزلة التي لي في قلب شرلوت .  
 ومع هذه اخفيها تكلم عن خطيبها وتتكلم عنه بكل تلك الحرارة والعاطفة ...  
 يقوم في نفسي أني اهرو خالعوه عن رفيع مقامه وسلبوه كل رتبة  
 سنوية ، وجردوه من حسامه !

( مرتر )

### ملك العفاريت

من الراكب المدج في غيش المساء تحت وايل المطروح عصف الريح ؟  
 ذاك والد ووليده ، وهو يضممه ويدفعه ويختضنه بين ذراعيه  
 — بني ، ما بالك تحجب وجهك ؟  
 — أبا إيه ألا ترى ملك العفاريت ، ملك العفاريت بأكليله  
 وطياسانه ؟

— بني ! تلك سدفة من غسق المساء .  
 «أيها الطفل العزيز ، هلم الى ، سنهو معًا بأجمل الألآعيب !  
 هنالك حيث تردان ضيقا في بالي رياحين ، وحيث أمى عندها كثير من الحال

الذهبية والشفوف ! »

— أباها ! أباها ! عجباً ! ألا تسمع ما يوسم به ملك العفاريت ؟

— هدي روحك ! هدى روحك يا بني . أنها الريح تهمس في

ذا بل الاوراق

« ألا تريد أيها الطفل اللطيف ، ألا تريد الذهب معى ؟ بناتي سوف يدللنك وأى تدليل . بناتي يرقصن في جنح الظلام ، بناتي سوف يغزين لك و يجعلن الى جفنيك طيب النعاس »

— أباها . أباها ! عجبا ! ألا ترى هنا لك بنات ملك العفاريت ؟

— بني ، بني ، أرى جيداً ، أرى أنها أشجار الصفاصاف العتيقة

تتخايل من بعيد

« أما أحبك ، وطاعتكم الخلوة تروقني ، فاذاؤبنت أخذتك غصباً »

— أباها ، أباها ! ها هو ذا يسكنى ، لشد ما آذاني ملك العفاريت !

ارتعد الوالد ، ودفع جواده . وضم في ذراعيه ولده المختنق بالنشيج

ولبلغ داره بعد جهد جهيد ، واذا الطفل في ذراعيه ميت « أناطر »

يغلب ألا نتعلم فن التعبئه في الحياة الا بعد انتهاء المعركة » من كتاب

الشعر والحقيقة »

\* غاية الحياة هي الحياة نفسها » من حديث مع ماير »

أتريد تعرف كلمة الحياة الأخرى ؟ كن فرحا ، فإن لم تستطع فكن

قانعاً «اكربي»

لاتبلغ القمة الا بدوران «ولهم مبشر»

نحن نحسب الناس اخطر ماهم في الحقيقة . ان الا به والكيس  
كلامها لاخطر منه ، وانما اشد الناس خطرانصف العافى ونصف  
المجنون «كلات»

يقال ان الرجل لا يكون بطلا في عين خادمه . وانما سبب ذلك  
أن البطل لا يعرفه الا بطل : أما الخادم فلا يعرف الا من هم على  
مثاله «كلات»

كان كل شئ قبل الثورة «الفرنسية» جهدا فاصبح بعدها مأرباً  
«كلات»

من اصدق الاشياء وأعجبها أن ينجم الخطأ والصواب — من  
ينبوع واحد . ولهذا كان من سوء الرأي في بعض الاحيان ان يقسى  
على الخطأ ، لأن القسوة عليه تصيب الصواب «حكم وأمثال»

يندران نرضي انفسنا ، فليكن أكبر عزائنا أن نرضى الآخرين «كلات»  
المدرسة الفكرية أشبه شيء بـ رجل يتكلم نفسه مائة سنة ويفرط  
في الفرح بنفسه كائناً ما كان حظها من السيف والمحاقنة «كلات»  
لأضر على الحقيقة الجديدة من الخطأ القديم «كلات»

اذ اجاز أن يزدري الفن لانه حاكاة للطبيعة ففي الواقع أن يقال  
كذلك ان الطبيعة لا تخلو من المحاكاة ، وان الفن لا يحيي ما يرى بالعين

تمام الحكاية وإنما يرجع إلى عنصر البصيرة الذي يقوم به تركيب الطبيعة وتعمل هي على أساسه «كلمات»

أظهر ما يedo جلال الفن في الموسيقى . إذ ليس في الموسيقى مادة تصاغ وليس فيها الا شكل ومعنى . وهي تعلو بكل ما تعبّر عنه « كلام » ميول الحس الخاطئة هي ضرب من التزعة « الواقعية » وهي أبداً خير من تلك الميول الخاطئة التي تسمى نفسها بالاشواق « المثالية » - « كلامات »

الجمال مظاهر لقوانين خفية في الطبيعة لولاه لما ظهرت - «كلمات»  
لو ضاع كل شيء من قبيل رواية هنري الرابع التي كتبها  
شكسبير لامكن ان تستعما في فنون الشعر والبيان جمیعا من هذه الرواية  
الفریدة - «كلمات»

لـ«كتور هيجو ملكات فائقة» غير جدال ، وهو يجدد الشعر الفرنسي وينضره ، ولكننا نخشى أن يحييد أشياعه ومربيده - إن لم يحد هو - عن الجادة التي أقدم عليها . إذ الامة الفرنسية امة النقاوض فهي لا تقف عند حد أو قياس ، وهي بما منحت من قوى في النفوس ونشاط في الاجسام خليقة أن تزحزح الارض لو وجدت مكان الارتکاز ، ولكنها على ما يظهر لا تبالي أن تعلم أن المرء اذا تصدى للأحمال الثقيلة فعلية أن يتلمس البيئة والوسيلة . ان هذا

الشعب هو الوحيد بين شعوب العالم الذي يجمع في تاريخه نقاءً ونقاечً كذبحة سان برناردي ومذهب الحرية الفكرية ، أو كاستبداد لويس الرابع عشر وعربدة جماعة « العراة » Sans Culottes ، أو كفتح هوسكوا وتسلیم باريس في نحو سنة واحدة ، ومن ثم يتحقق لنا أن نخشى في عالم الأدب أيضاً أن يتلو استبداد « بوالو » خروج على جميع الأصول وفوضى بغير عنان - « حديث مع كزيميان »

الفرح والحب جناحان يرتفعان بنا إلى جلائل الاعمال» افيجنبي

## فهرست

	صفحة
٤	بداية
٧	النفس الألمانية
١٥	نبذة عن الحرية الفنية في الأمة الألمانية
٢٧	حياة جيتي
٤٦	المرأة في حياة جيتي
٧٥	مؤلفات جيتي :
٨٦	... آلام فرتر
٩٣	... فوست
١٠٧	... ولهلم ميسنر
١١٥	... الديوان الشرقي
١٢١	... مؤلفات أخرى
١٢٦	عقيرية جيتي
١٥٠	شخصية جيتي
١٦٧	عقيدة جيتي وآراؤه
١٨٦	تقدير جيتي
١٩٦	مخترارات متفرقة

## مناد و احباب

تم طبع هذا الكتاب في ايام قليلة ، وقد  
بُذلت هذه العناية التي يراها القارئ في صفحه  
وطبع صوره على الرغم من السرعة الزائدة  
والحرص على اظهار الكتاب في أوان مناسب،  
فن واجبنا أن نشير الى ذلك وان ثنى على همه  
صاحب المطبعة المجتهد الشیط محمد أفندي  
عبد اللطیف حجازی ، وعلى مهارة مساعدته  
المدرب محمد أفندي حسين رئيس الصفاوین ،  
وهذا فضلا عما لقيناه في هذه المطبعة من حسن  
المعاملة ووداعة الخلق وانتظام المواعيد



# كتب المؤلف

العنوان اسم الكتاب

--

٢٠

ابن الرومي حياته من شعره

١٥

ديوان العقاد ، أجزاء في مجلد واحد

١٢

ساعات بين الكتب

٤

الحكم المطلق في القرن العشرين

٢

رواية فمیز في المیزان

١٢

مراجعات في الأدب والفنون

٣

جمع الاحياء

١٥

مطالعات في الكتب والحياة

..

الفصول ( نقد )

..

خلاصة اليومية ( نقد )

..

الديوان في النقد ( نقد )

وتبع هذه الكتب جميعها في المكتبة التجارية الكبرى  
والكتب الخمسة الأولى تطلب من المؤلف ( مصر الجديدة )  
القاهرة

**To: www.al-mostafa.com**